

# الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : دكتور طه حسين بك

## فهرس

١	..... برنامج	***
٢	..... الأدب العربي بين أمسه وغده	طه حسين
٢٨	..... تكافؤ القصة	أحمد نجيب الهلالي
٣٣	..... الخلق في الفن	توفيق الحكيم
٣٧	..... مشكلة المضاف	محمد رفعت
٤٧	..... حول خلق آدم	سهير القلماوى
٥٣	..... الحرب والجامعات في بريطانيا	سليمان حزين
٦٢	..... أنت كالناس ( قصيدة )	عبد القادر القبط
٦٧	..... بول فاليرى	ط
٧٩	..... مستقبل آسيا بعد هزيمة اليابان	محمد عبد الله عنان
٨٦	..... عالم الطفولة	حسين فوزى
٩٢	..... القنبلة الذرية والاندماج الذرية	محمد محمود غالى
١٠٣	..... عيد أول إبريل ( قصيدة )	عزيز فهمى
١٠٥	..... أدب القصة في <del>تعاليم</del> السوفييت	رائيه برنار ماركيه
١١٥	..... بريطانيا العظمى والشرق الأدنى	ط
١٢١	..... من وراء البحار	



تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية  
القاهرة

اتفقت مجلة الكاتب المصري مع طائفة من كبار  
الأدباء الأوربيين والأمريكيين على ان يوافقوها  
بمقالات وقصص تكتب لها خاصة بحيث تنشر  
لأول مرة باللغة العربية قبل نشرها بأية لغة أخرى  
فيكون قراء هذه المجلة أسبق الناس الى الوقوف  
على ثمرات عقول هؤلاء الكتاب

تنشر دار الكتاب المصري طائفة من الكتب العربية التي قام بوضعها  
أدياء معروفون كما تنقل إلى هذه اللغة أشهر الكتب الأوربية والأمريكية  
وتقوم كذلك بنشر الكتب العربية القديمة والمخطوطات وتستصدر الدار قريباً  
الكتب التالية :

### البغلاء (للجاحظ)

تحقيق وشرح الأستاذ طه الحاجري ( المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق )

### العقيدة والشريعة في الاسلام ( لجولدتسيهر )

نقله إلى اللغة العربية الأستاذة

محمد يوسف موسى ( المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف )

على حسن عبد القادر ( مدير المركز الثقافي الاسلامي بلندن )

عبد العزيز عبد الخالق ( المدرس بكلية الشريعة )

### من حولنا

وهي قصص مصرية من تأليف الأديب المعروف الأستاذ سعيد العريان

### حكايات فارسية

للدكتور يحيى الخشاب ( المدرس بمعهد اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول )

### طعام الآلهة

للكاتب الانجليزي هـ . ج . ويلز

نقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد بدران

### المقامر

للكاتب الروسي دستوفسكي

نقله إلى اللغة العربية الأستاذ عبد الفتاح شكرى عياد

### الباب الضيق

للكاتب الفرنسي أندريه جيد

نقله إلى اللغة العربية الأستاذ نزيه الحكيم



## جائزة الكاتب المصري للقصة

قررت دار الكاتب المصري التي يشرف عليها الدكتور طه حسين بك من الناحية الثقافية إنشاء جائزة سنوية للقصة قدرها مائة جنيه .  
وهي تدعو الكتاب والمؤلفين إلى الاستباق لنيل هذه الجائزة .  
وستحكم بين المستفيدين لجنة مكونة قوامها خمسة من كبار الأدباء المتنازين في مصر — وقد حددت آخر موعد لتقديم القصة يوم ٣١ يناير سنة ١٩٤٦ .

١ — المسابقة مفتوحة للكتاب العرب جميعاً على اختلاف الأقطار العربية في الشرق والغرب .

٢ — الكاتب حر في اختيار الموضوع الذي يكتب فيه لا يقيد بزمان ولا مكان ولا بيئة ولا اتجاه .

٣ — يجب أن تمتاز القصة بالابتكار وقوة الخيال وجمال اللغة العربية في الشرق والغرب .

٤ — القصة التي تظهر بالجائزة ملك لدار الكاتب المصري تطبعها وتذيعها على أن تحتفظ لصاحبها بحق المؤلف وقدره عشرون في المائة من ثمن البيع الفعلي بعد الخصم — وهذا الحق مستمر مهما تعددت الطباعات . وكل ذلك يجري طبقاً للنظام المعمول به في دار الكاتب المصري والذي يستطيع كل كاتب أن يطلع عليه .  
٥ — يجوز لدار الكاتب المصري أن تطبع القصة الثانية إذا أوصت بذلك لجنة التحكيم وقبله صاحب القصة في حدود النظام الذي أشير إليه في البند السابق .

٦ — يرسل الكاتب نسختين من قصته مكتوبة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح بعنوان دار الكاتب المصري شارع قنطرة الدكة رقم ٥ — القاهرة — ولا تقبل أى قصة تصل بعد تاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٤٦ .

# الكتاب المصّري

رئيس التحرير  
دكتور طه حسين بك

مجلد ١



القاهرة ١٩٤٥





# الكاتب المصري



شوال ١٣٦٤

أكتوبر ١٩٤٥

مجلد ١ - عدد ١

## سيرتنا

يقال إن الشعب المصري أول من كتب بالقلم ، واتخذ الحروف رمزاً للكلام الذى يؤدي عن القلوب والنفوس والعقول ما يثور فيها من العواطف ، وما يضرب فيها من الالهواء ، وما يخطر لها من الآراء . وقد اتخذت هذه الدار من الكاتب المصري القديم اسماً لها وشعاراً ، واتخذت هذه المجلة التى تصدرها هذه الدار من الكاتب المصري القديم اسماً لها وشعاراً أيضاً . وهذه المجلة تستمد برنامجها وخطتها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث ، ومن المهمة التى نهضت بها مصر منذ شاركت فى الحضارة الانسانية العامة .

فصر بلد من بلاد البحر الأبيض المتوسط ، أتاح لها مركزها الجغرافى أن تمتاز بين بلاد الشرق الأدنى بثروتها وقوتها وثقافتها ، وأتاح لها هذا المركز الجغرافى وما قدر لها من اعتدال الاقليم ألا تكون أثره ولا منجازه إلى نفسها ولا منقطعة الصلة بغيرها من أقطار الأرض قريبا وبعيدا ؛ فهى تعلى مما عندها وتأخذ مما عند غيرها ، وتقيم حياتها كلها على هذا الأخذ والعطاء . وهى من أجل ذلك نهضت بمهمة التوسط بين الشرق والغرب فى شؤون الثقافة والسياسة والاقتصاد .

سبقت إلى التعاون الثقافى مع الأمم المتحضرة القديمة ومع الأمة اليونانية خاصة ، ثم مضت فى هذا التعاون مع روما كما مضت فيه مع أثينا من قبل . ثم استأنفته مع دمشق وبغداد وقرطبة ، وهى الآن تمضى فيه مع بلاد الشرق كله ومع بلاد الغرب كله . تنقل إلى الشرق خير ما عند الغرب من المعرفة ، وتؤدي إلى الغرب خير ما عند الشرق من تراثه الثقافى الخالد العظيم .

ولن نستطيع مصر أن تتحول عن هذه الطريق التي رسمها لها التاريخ ، ولا أن تستعفى من هذه المهمة التي فرضتها عليها القرون . وهذه المجلة لا تريد إلا أن تكون أداة من أدوات مصر لتحقيق هذه المهمة ، ووسيلة من وسائلها للنهوض بهذا الواجب الخطير .

فهي ستكون صلة ثقافية بأدق معاني هذه السكامة وأرفعها بين الشعوب العربية أولاً وبين هذه الشعوب وأمم الغرب ثانياً . ولكل أدب حي مقومان أساسيان ، يكفل أحدهما له الثبات والاستقرار ، ويكفل ثانيهما له النمو والتطور والارتقاء .

فهذه المجلة ستحرص أشد الحرص على العناية بهذين المقومين للأدب العربي ، فتعنى بتقديم هذا الأدب تدرس تاريخه وتكشف أسرارته ونحيي آثاره . وتعنى بالأدب الحديث الذي ينتجه الممتازون من كتّاب الشرق العربي تذيبه وتدورسه وتنقده وتشجعه وتجعله غذاء لمقول العرب وقلوبهم وأذواقهم ، وتهيشه لمقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينتقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة .

ولعل هذه المجلة نفسها أن تنقل مختارات منه إلى هذه اللغات وتذيعها في الشرق والغرب بين حين وحين . وتعنى مع هذا كله بالأدب الأجنبية ، تعرفها إلى القراء العرب بالدرس والنقد أو التحليل ، وتنقل إليهم منها أطرافاً صالحة تروجو أن يجدوا فيها النفع والمتاع .

وستأخذ هذه المجلة نفسها بقانونين لن تحيد عنهما مهما تكن الظروف . أحدهما الشدة على نفسها وعلى كتابها وقراءها فيما تنشر وماتنقل من الفصول ، فلن تقدم إلى قرائها إلا هذا الأدب الذي ينفق صاحبه في إنتاجه الجهد العنيف والوقت الطويل ، وينفق قارئه في إساغته من الوقت والجهد مثل ما ينفق منتج . فلن يعرض الأدب العربي لخطر التفاهة والابتذال شيء كهذا الانتاج السريع ، وهذا الاستهلاك السريع . فالأدب فن يحتاج كغيره من الفنون الرفيعة إلى أناة الكاتب وتأنيقه واحتفاله ، وإلى تحمل القارئ وتأمله وتدبره . ولا بد من أن تأخذ الأجيال العربية المعاصرة نفسها بالأناة في الانتاج الفني وفي الاستهلاك الفني أيضاً .

القانون الثاني هو الحرية الواسعة السكامة السميحة فيما تنشر وفيما تختار من آثار القدماء والمحدثين ، ومن آثار الشرقيين والغربيين ، لا تنظر في ذلك إلا إلى



الفن الخالص وإلى قيم الثقافة العليا وما يحقق التعارف والتواصل بين الذين يمثلون هذه الثقافة من رجال الأدب والعلم والفن .

وهي تنظر إلى أمس، وتنظر إلى اليوم، وتنظر كذلك إلى غد . فستنشر ما يحيى الأدب القديم ، وستنشر ما يقوى الأدب الحديث ، ولكنها في الوقت نفسه ستعنى بهؤلاء الشباب الذين يجربون أنفسهم ويحاولون أن يشاركوا في الانتاج الأدبي ، فستفسح لهم مكاناً رحباً بين صفحاتها ، وستلقاهم رقيقة بهم مشجعة لهم ، ولكن قاسية عليهم في النقد والاختيار .

فالشباب في حاجة إلى التشجيع الخالص والرفق ، ولكنهم في حاجة كذلك إلى التمرين والنقد . ويوشك التشجيع الخالص أن يكون تفريراً ، كما يوشك النقد الملح المسرف في العنف أن يكون تثبيطاً لهم . وخير الأمور أوساطها .

وستعنى هذه المجلة بأن تعرض على الشرقيين آثارهم عرضاً قوامه النقد الخالص للفن والحق . وبأن تعرض عليهم خلاصات حسنة للحركات الأدبية في أوروبا وأمريكا . لن تقصر عنايتها على أدب دون أدب ، ولن تؤثر باهتمامها ثقافة دون ثقافة ، ولكنها ستفتح الأبواب على مصاريعها لتيارات الأدبية والثقافية من أى وجه تأتى وعن أى شعب تصدر وفى أى لغة تكون . ذلك لأن العلم والفن والأدب أمور تحب لنفسها ، وتتلقاها العقول والقلوب كما هى ، فتسيع منها ما تسيع ، وتنبذ منها ما تنبذ وتنتفع بها على كل حال .

وكما أن هذه المجلة لن تؤثر بعنايتها شعباً دون شعب فهى ، كذلك لن تؤثر بعنايتها فريقاً من أدياء العرب دون فريق . وهى على هذه الساحة حريصة أشد الحرص ، تريد أن ترفع الأدب عن هذه الخصومات التى تثيرها منافع الحياة العامة العاجلة بين الناس . فهى إذن لا تنحاز إلى طائفة ، ولا تتمصب لمذهب ، ولا تقيد نفسها إلا بحقوق مصر والأمم العربية فى الكرامة والعزة والحياة الصالحة التى لا يشوبها نقص ولا هوان .

هذه هى الغاية التى تسعى إليها ، والوسائل التى تسعى بها ، والعهد الذى نعطيه على أنفسنا . ونحن واثقون بأننا سنجد من المثقفين كاهم فى الشرق العربى كاه ما يلائم هذه الغاية وهذه الوسائل وهذه النية الخالصة من ثقة وعون وتأييد .

## الأدب العربي بين أمسه وغده

لست أدري أكان الناس يُلقون على أنفسهم في أعقاب الحروب الماضية مثل ما أخذوا يلقونه على أنفسهم من الأسئلة في أعقاب الحرب العالمية الأولى وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية . فلم تكد الحرب العالمية الأولى تدنو من غايتها حتى أخذ الناس يتساءلون عما يمكن أن يكون لها من أثر في الحياة الأدبية وفيما ينتج الأدباء من شعر ونثر . ثم لم تكد الحرب العالمية الثانية ترسل نذرها إلى الأرض حتى أعاد الناس إلقاء هذه الأسئلة على أنفسهم . ولكل سؤال جواب ، كما يقول جميل لصاحبه بثينة . ومن أجل هذا أخذ الناس يتنبئون بما ستصير إليه الحياة الأدبية من قوة أو ضعف ، ومن رقي أو انحطاط ، ومن تطور في بعض فنونها ينتهي به إلى النمو أو ينتهي به إلى الانقراض أو ينتهي به إلى تحول خطير أو يسير .

وقد كذبت الحوادث كثيراً من هذه النبوءات وصدقت منها كثيراً ، وانتهى بعض الأدباء الفرنسيين الممتازين إلى أن يجيب على سؤال من هذه الأسئلة التي ألقى عليه في أثناء الحرب العالمية الثانية بأنه لا يعلم أن للحرب أثراً في الأدب أو أن للأدب أثراً في الحرب . وليس هذا الجواب إلا نوعاً من أنواع الشك وفناً من فنون التردد الذي يقضى به الاحتياط على من يريد أن تكون أحكامه صائبة غير مسرفة في تجاوز الحق . فليس من سبيل إلى أن نشكر أن للأحداث الجسام والخطوب العظام أثرها البعيد في حياة الناس . ومتى تأثرت حياة الناس فقد تأثرت آدابهم ؛ لأن هذه الآداب آخر الأمر ليست إلا تعبيراً عن هذه الحياة وتصويراً لها ، فإذا تغير الأصل تغيرت الصورة ، وإذا تغير المعنى تغيرت العبارة التي تؤدبه .

ولو أن اليونان بلغوا من التعمق ما بلغنا والتمقوا من العلم ما نلتهمس ، لجاز أن يسأل بعضهم بعضاً عما كان يمكن أن تحدثه الحرب الميمنية من الأثر في آدابهم ، ولكان من الممكن أن يتنبأ بعض الفقهاء من أدباؤهم بأنها ستحدث آثاراً بعيدة جداً لا في الأدب اليوناني وحده ولكن في أكثر الآداب التي

سيتمتعها الناس على اختلاف العصور وتبين الظروف . ولكن من الممكن أن يتسبب بعض المقهاء من ذنابهم بأن هذه الحرب الميدية ستدفع الشعر التمثيلي إلى التطور دفعاً عنيفاً ، وستنتج للإنسانية كلها آيات الإسكولوس وسوفوكل وأوريبيد ، وبأنها ستدفع أحاديث القصاص دفعاً عنيفاً إلى التطور ، فتنتج لهم تاريخ هيرودوت ، وتنشئ للإنسانية فناً من أجل الفنون الأدبية خطراً وهو فن التاريخ ، وتنشئ لليونان أنفسهم ترحم الفنى البديع ، وتضع لهم أصول الفلسفة اليونانية الرائعة التي أنتجت سقراط ومن جاء بعده من تلاميذه النابهين . ولو كان ليونان يبحثون عن مثل ما نبحت عنه ويتقصون من الأمر مثل ما تنقصي ، لجاز أن يتساءلوا عما سيكون لحرب البيلوبونيز من أثر في حياتهم الأدبية والعقلية ، ولكان من الممكن أن يقتبأ المتنبئون بأنها ستنتج لهم فقه التاريخ وفلسفته كما نراها في كتاب توسوديد ، أو ستحول فن التمثيل التراجيدي إلى هذا اللون الفلسفي الذي نراه عند أوريبيد ، وستمكن أرستوفان من إنتاج آياته الكوميديّة الخالدة ، وستحول سفسطة السفسطائيين اليسيرة إلى هذه الفلسفة العميقة التي كان أرستوفان يهزأ بها وبزعيمها سقراط في قصة السحاب . ولكن اليونان لم يكونوا يحبون مثل هذه النبوءات ، وإنما كانوا يحبون نبوءات أخرى يسيرة تمس آمالهم وأعمالهم ، وكانوا يلتمسون هذه النبوءات كما كان العرب يلتمسونها عند السوانح والبوارح من الطير ، وفي آيات أخرى كانوا يذهبون في تفسيرها وتأويلها المذاهب ، فإذا احتفلوا بهذه النبوءات سافروا في التماسها سفيراً قاصداً أو غير قاصد ، فطلبوها عند « بللون » في « دلف » . وعند غيره من الآلهة في معابدهم تلك التي كانوا يلقون فيها الوحي على الأصفياء من الرجال والنساء . فأما مستقبل الأدب ومصير الفن فاشياء لم يكونوا يحفلون بها ولا يفكرون فيها . وحسبهم أن يستمتعوا بما ينتج الأدباء لهم من آيات الشعر والنثر ، وبما ينتج أصحاب الفن لهم من روائع التصاوير والتماثيل والبناء . والشئ الذي لا شك فيه أن الحرب الميدية صدمت الشرق الآسيوي ببلاد اليونان ، وأن هذه الصدمة العنيفة المتصلة قد أثارت في عقول اليونان وقوبهم وذواقهم شرراً أذكي فارهم العقلية المقدسة ودفعها إلى التوهج الذي ملا الأرض علماً ونوراً . وأن حرب البيلوبونيز صدمت اليونان بأنفسهم أولاً وبأقطار أوربية أخرى ثانياً ، فكشفت لهم عن ذوات أنفسهم وأظهرتهم من



حلالها على ذات النفس الانسانية، وعلى بعض المواحي من ذات النفس الانسانية، فاحسوا وشعروا وفكروا كما لم يكونوا يشعرون وبحسون وبفكرون، ثم صوروا وعبروا كما لم يكونوا يصورون ويعبرون، وتستطيع أن تقول مثل هذا بالقياس إلى حروب الإسكندر، ثم بالقياس إلى ما كان بين خلقائه من الحروب، ثم بالقياس إلى حروب الرومانيين في إيطاليا وفي غير إيطاليا من أقطار الشرق والغرب. كل هذه الحروب أثرت في الأدب القديمة أثراً عميقاً، ونتجت للإنسانية آيات أدبية حادثة ما زال نستمتع بها إلى الآن، وستستمتع الإنسانية بها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وأي رمز لذلك ألمع من أن الألياذة والأوديسا إنما هما نتيجتان لحرب لا يكاد التاريخ يعرف من مرها شيء، وهي حرب طروادة. ومثل هذا يمكن أن يقال بالقياس إلى أدبنا العربي القديم. فلو تكلف لعرب المعاصرون لظهور الإسلام مثل ما شكف من البحث والتفكير والتعمق لسألوا أنفسهم عما يمكن أن يكون لظهور الإسلام وما استتبعه من حرب داخل البلاد العربية ومن فتوح خارج هذه البلاد من التأثير في حياة الأدب العربي، ولكان من الممكن أن يتنبأ الأذكى من شباب قريش وشيوخها بأن هذا كله سيذهب بالشعر العربي مذاهب لم يخطر لهم على بال، وسينشئ لهم فنوناً من النثر مختلفة متنوعة من العلوم والأدب. ولكن شيوخ قريش وشبابها لم يكونوا يفكرون في شيء من هذا ولا يقفون عنده ولا يحفلون بما يتصل به من النبوءات، وإنما كانوا كاليونان والرومان يأخذون الأشياء من قريب ويستمتعون بما تقدم الحياة إليهم من خير، ويشقون بما تقدم إليهم من شر. فإذا بعدوا في المتاس الغيب أسرفوا في الإبعاد فالتمسوا الغيب عند السوانح والبوارح من الطير، وعند الكهنة ومن يتنزل عليهم من الشياطين، وعند الأنبياء وما يلحق إليهم من وحى وما يهب لهم من معجزات، ثم هم كانوا كاليونان والرومان لا يلتمسون الغيب بالقياس إلى حياة العقل والقلب، وإنما يلتمسونه بالقياس إلى حياة الأجسام في الدنيا وإلى حياة الأرواح في الآخرة. ومع ذلك فليس من شك في أن توحيد الأمة العربية بظهور الإسلام قد نشأ لها أدباً واحداً، ووجه هذا الأدب توجيهاً جديداً. وليس من شك في أن اصطدام العرب بغيرهم من الأمم قد أذكى في نفوسهم وفي نفوس هذه الأمم جذوة الأدب والفن والعلم، فامتلات الأرض معرفة ونوراً، انفصل هذا الاصطدام وما نفا عنه من الاحتلاط

والامبراج . ومن معرفة العرب لغيرهم من الأمم ومعرفة أنفسهم ، ومن  
أعارف هذه الأمم فيما بينها وتعاونها راصية و كارهة على ما كانت مضطرة أن  
تتعاون عليه من شؤون الحياة .

ومن بدرى ! لعل القدماء كانوا أدنى منا إلى الحق وقرب منا إلى لصواب  
وأشد منا إشاراً للقصد والاعتدال ، فهم كانوا لا يكتفون أنفسهم ما لا لطيق  
ولا يحملونها ما لا تحتمل ، وإنما كانوا يتلقون الحياة ويحيونها ، ثم يسجلون  
ما يستطيعون استكشافه من الحقائق والظواهر . قدماء العرب قد عرفوا  
ما كان من تطور الأدب لعربى بعد وقوعه ، كما عرف قدماء اليونان ما كان من  
تطور الأدب اليوناني بعد وقوعه . وهم قد سجلوا لنا ذلك تسجيلاً مقرباً يسيراً  
لا يكف فيه ولا إبعاد . وهم قد عصموا أنفسهم من التورط في نبوءات تصدقها  
الحوادث حيناً وتكذبها حيناً . وهم قد أراحوا أنفسهم من هذا الشك الذي  
تأخّر لذلك الأديب الفرنسي أن يقول إنه لا يعلم أن للحرب أثراً في الأدب أو أن  
للأدب أثراً في الحرب . والأمر كله يرجع ، فيما يظهر ، إلى أن الرقي الذي تبيح لنا  
في حياتنا المادية والعقلية قد دفعنا إلى لوأن من الغرور وخيل إلينا أننا قد  
بشئ كثير مما لم يقدر عليه القدماء . وما دمننا قد استطعنا أن نهيب الأرض  
بالقطار والسيارة ، ونهيب البحر بالسفن تجري على ظهره وتسمج في نطسه ، ونهيب  
الجو بالطائرات ، ونهيب الزمان والمكان بهذا كله وبالبرق والراديو . ما دمنا  
قد استطعنا أن نقهر الطبيعة ونخترق حججها ونكشف أسرارها ونلغي ما كانت  
تستطيل به علينا من آمان الزمان والمكان ، فليس ينبغي لغرورنا أن يقف عند  
حد أو أن ينتهي إلى غاية ، وليس ينبغي لنا أن نتردد في التنبؤ بما سيكون مادمننا  
قد استطعنا أن نعرف ما كانت . وقد قيل إن التاريخ فن يعين على استكشاف  
المستقبل بفضل ما يعلم من حقائق الماضي . ونحن قد صدقنا ذلك واطمأننا إليه .  
وقد قيل جداً من بيننا أولئك الذين يشكون في أن التاريخ يعاننا حقائق الماضي ثم  
يشكون بعد ذلك في أنه يستطيع أن يكشف لنا عن حقائق المستقبل . وأكبر الخسر  
أن هؤلاء القديلين الذين ينظرون إلى التاريخ نظرة ساخرة مشفقة ، ويلحظونه  
لحظة باسمة مزدرية ، وينتظرون المستقبل كما ينتظرون المجهول — أكبر الخسر أن  
هؤلاء القديلين المصيون ، ولكننا لا نحب صوابهم هذا ولا نكف به ، بل  
لا نطمئن إليه ؛ لأنه يضطرنا إلى تواضع ويردنا إلى الاعتدال ، ويحول بيننا وبين

الغرور أو بيتنا وبين الإغراق في الغرور . وما قيمة الإلهان إذا لم يعث به  
الغرور فيخيل إليه أنه قادر على كل شيء ، وأن من حقه بل من الحق عليه أن  
يحاول كل شيء !!

من أجل هذا كله تسال المعاصرون عن أشياء كثيرة ، من بينها : مستنق  
الحياة الأدبية وما عسى أن تكون الاتجاهات التي سيدمج إليها بنحكم هذه  
الاحداث الجسام التي خلطت الشرق بالغرب والشمال بالجنوب ، وقاربت بين  
الاجيال المتباعدة ، وألفت هذه الحواجز التي كانت تحجز بين الأمم والشعوب ،  
وغيرت كثيراً من صور الأشياء ، ثم غيرت كثيراً من قيم لأشياء ، ثم غيرت كثيراً  
من تأثيرنا بهذه الصور وتقديرنا لهذه القيم وحكمنا بعد ذلك على ما هو كائن ،  
وترقبنا بعد ذلك لما سيكون . فأما المقتصدون من الأدباء الأوربيين فيشككون  
كما شك ذلك الأديب الذي شرث إليه آتقاً ، أو يحتاطون في الحكم ويعتدلون  
في التقدير ويحسبون حساباً لهذه الأشياء اليسيرة لصئيلة لتي لا تعرفها ولتي  
قد يكون لها بعد الأثر في حياتنا العاملة ثم في حياتنا العاقلة . وليس من  
شك في أننا قد عمنا أشياء كثيرة ، ولكن ليس من شك في أننا لم نؤت من  
العلم إلا قليلاً ، وفي أن ما نجهله أكثر جداً مما نعلمه ، وليس من شك كذلك  
في أننا قد حققنا من الرقي شيئاً كثيراً في حياتنا العاملة والعاقلة . ولكن ليس  
من شك في أن ما حققناه من ذلك ضئيل جداً بالقياس إلى ما ينتظر أن يحققه  
وهذا الذي ينتظر أن نحققه قد يفاجئنا بمضه مفاجأة وعلى غير انتظار ، وقد  
يتهيأ لنا بعضه عن أناة وريث وبعد سعى وجد واستعداد . فإذا كانت طبيعتنا  
تدفعنا إلى الغرور والمغامرة فإن عقلنا ينبغي أن يضبط هذا الغرور ويحدد هذه  
المغامرة ، ويأخذنا بشيء من التوسط في لقول والعمل جميعاً . فليس من المستحيل  
أن نحاول التنبؤ بما سيكون من مستقبل الحياة الأدبية ، ولكن ليس من  
الصواب أن نندفع في ذلك جامحين في غير تحفظ ولا احتياط .

وربما كان من اصطلاح الدقة والحذر أن أسجل منذ الآن أنني لم أتنا بشيء ،  
لأنني لا أملك الوسائل التي تتيح لي هذا التنبؤ ، وإنما أحاول أن أنظر إلى أدبنا  
العربي المعاصر نظرة عامة أتبع فيها بعض حقائق تطوره في العصور الماضية  
وأقسم فيها بعض الممكنات لتطوره في الأيام المستقبلية . فأنا أنظر إلى دننا  
العربي بين أمسه القريب ولبعيد ، وبين غده القريب دون البعيد . وما زعم لهذه



## الأدب العربي بين أمه وعده

المحاولة الحديثة والاشمولاء، هي محاولة مقبولة تتجنب الإيحاء والتعمق؛ لأن الإيحاء والتعمق نهجان لا يكتسبان إلى فصل منهما، لكن هذا الفصل صويلاً، وفي تاريخ أدبنا العربي سهره لعمري أن يسيرك فيها غيره من الآداب الكبرى قديماً وحديثاً، والكتب التي كتبها في نحو وصح وحين مما تستيق في غيره من الآداب فقد سحر الآداب اليوناني القديمة قلوب طوائف التي بين وبين أسس سنارة، وما استلهم الأمم اليونانية الحديثة حياتها المعاصرة نشأت لنفسها أدباً مهما تكن الصلة بينه وبين الأدب القديم فهو ليس جرءاً منه ولا استمراراً له. فالأدب اليوناني القديم إذن حي بنفسه، أريد أنه لا يستمد حياته من حياة، تنمية ونموه وتصيف إليه، وإنما يستمد حياته من هذه الشخصية القوية التي وهبها له اليونان القديمة. فنحن حين نقرأ آثار هوميروس أو بشار و فلاطون لا تفكر في الأمة اليونانية المعاصرة ولا تصل هذه الآثار القديمة الخالدة إلى تنتج من شعر والنثر، وإنما نقرأ هذه الآثار ونفكر في الأمة اليونانية القديمة التي أنتجتها، ونوشك أن نعتقد أن الصلة بين هذا الأدب القديم والأجيال التي بدعته ليست أضعف من الصلة بين الأمة اليونانية المعاصرة وبين ذلك الأدب وتلك الأجيال. وربما كان من أحقق أن بعض البيئات الأدبية والفنية في غرب أوروبا وفي فرنسا خاصة أشد اتصالاً بالأمة اليونانية القديمة من أثرها الأدبي والفني والفلسفي من الأمة اليونانية المعاصرة نفسها. فلست أعرف مثلاً أن الأمة اليونانية الحديثة قد هدت إلى العالم الحديث شاعراً كراسين وكاتباً كجيريودو أو شاعراً كاتباً كبول، ليري. وكل هؤلاء وغيرهم من أدباء لغرب الحديث يعيشون مع الأمة اليونانية القديمة ويذوقون أدبها وفنها وفلسفتها، ويحيون هذا الأدب والفن وهذه الفلسفة على نحو لم تصل إليه الأمة اليونانية الحديثة بعد. ومثل هذا يمكن أن يقال بالقياس إلى الأدب اللاتيني. فهذان الأدبان العظيمان يستمدان حياتهما الخالدة من قوتها الذاتية، إن صح هذا التعبير. وهذه الخصلة هي التي تميزها بين الآداب التي استطاعت أن تقهر الدهر وتكفل لنفسها الخلود.

أما أدبنا العربي فقد عمر بضعة عشر قرناً إلى الآن، واختلفت عليه في أثناء هذه القرون خلوب كثيرة متباينة وجهته أحياناً من التوجيه وخصته لغيره من التطور، ولكنه مازال حياً قوياً يستمد حياته وقوته من شخصيته العظيمة،

ولستمد حياته وقوته من هذه الأجيال التي لا تزال حية مخنفدة بفضل من قوة ، والتي لا يزال رساه وتكؤده وتنفع فيه من روحها كما تستمد منه قوة وأيداً وهي تمسحه وتأخذ منه ، وهي تعيش عليه وتعيش له وتعيش به ، شأنها معه كشأنها مع ما يقوم حياتها المادية من الأرض والجدال والأهوار . فالحياة الزمنية للأدب العربي لم تنقطع ، وبطهراتها لن تنقطع . والعلة بينه وبين الأجيال المعاصرة في بلاد الشرق العربي من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي وفي بيئات عربية متفرقة هنا وهناك في أقطار العالم القديم والعالم الجديد — هذه لصلة مارالت قائمة متينة حصبة ، كالصلة التي كانت بين الأدب العربي وبين الأمة العربية أيام المنبي وأبي العلاء . ونتيجة هذا كله أن في تاريخ أدبنا العربي ظاهرة قوية بينة شديدة التوضوح ، يمكننا من أن نلاحظه ملاحظة مباشرة ، ونستقصى أنواره استقصاء حسناً . فحين نستطيع أن نبدأ هذه الملاحظة منذ أواخر العصر الجاهلي ، وأن نسير الأدب في هذه الطرق الطويلة العسيرة المتنوعة الملتوية التي قطعها مسرعاً مرة مستأنياً مرة أخرى متناقلاً مرة ثالثة أثناء هذه القرون الطويلة ، حتى انتهى إليها مثقلاً بهذا التراث العظيم المختلف المتباين ، الذي يشتد بين أحزائه وعناصره التباين والاختلاف .

ونحن نستطيع أن نبدأ هذه الملاحظة من أنفسنا في هذا العصر الذي نعيش فيه ، وأن نسير الأدب العربي مصعدين معه في التاريخ كأنما نعود ندرجنا . سالكين معه نفس هذه الطرق ، متبينين فيه هذا التراث الذي تختلف أجزاؤه وتباين عناصره ، حتى نبلغ أول الإسلام وآخر الجاهلية . ونحن لانحشي أن تنقطع بنا الطريق في الزمان والمكان أثناء مسيرتنا لأدبنا العربي سواء أبدأنا مع تاريخه حين يبدأ في الزمن القديم ، أم بدأنا مع تاريخه من النقطة التي ينتهي إليها في عصرنا الحديث .

فالظاهرة التي يمتاز بها أدبنا والتي يمكننا من درسه وتتبع أطواره ، هي أنه قديم جداً وحديث جداً قد اتصل قديمه بحديثه اتصالاً مستقيماً لا انقطاع فيه ولا التواء . ففيه خصائص الآداب القديمة ، وفيه خصائص الآداب الحديثة ، وفيه ما يمكننا من استخلاص حديثه من قديمه ، وما يغنيننا عن كثير من الفروض . أدبنا العربي كائن حي ، أشبه شيء بالشجرة العظيمة التي تثبت جذورها وامتمدت في عمق الأرض ، والتي ارتفعت غصونها وانتشرت في أحواز السماء ،

والتي عصت عليها القرون والقرون وما زال ماء الحياة فيها غزيراً يجري في أصلها الثابت في الأرض وفي فروعها الشاهقة في السماء .

فستنبع هذا الأدب تتبعاً يسيراً مقارباً ، لنرى كيف تطور في أول عهده ، ولننبر كيف يمكن أن يتطور فيما يستقبل من الأيام .

وخص ما نلاحظه في حياة أدبنا العربي منذ أقدم عصوره ، أنه يتلف من عنصرين خطيرين لا يحتاج استكشافهما إلى جهد أو عناء . أحدهما داخلي يأتيه من نفسه ومن طبيعة الأمة التي أنتجته . والآخر خارجي يأتيه من الشعوب التي اتصلت بالعرب أو اتصل العرب بها ، ويأتيه من الظروف الكثيرة المختلفة التي أحاطت بحياة المسلمين وثرّت فيها على مر العصور . ولنتفق على أن نسمي هذين العنصرين : التقليد ، والتجديد .

فأدبنا العربي تقليدي ليس في ذلك شك ، له طابعه العربي البدوي القديم لم يخلص منه قط ولن يستطيع أن يخلص منه آخر الدهر على رغم ما بذل الأدباء وما سيدلون من الجهود الهائلة المضنية . مذهبنا في تصوير الأشياء وتقديرها في أنفسنا قد يختلف باختلاف العصور والأقطار والظروف ، ولكن مذهبنا في تصوير هذه الأشياء مهما يختلف فسينتهي دائماً عند طائفة من الأصول التقليدية لا سبيل إلى التحول عنها ؛ لأن التحول عنها قتل لهذا الأدب وقطع للصلة بينه وبين العصر الحديث وانحراف به عن طريق الحياة المتصلة التي تسلكها الآداب الحية ، إلى طريق الحياة المنقطعة التي تسلكها الآداب اليوناني والآداب اللاتيني . وقل ما شئت في تعليل الاحتفاظ بهذه الأصول القديمة وإخفاق المحاولات التي همت أن تعدل عنها وأن تغيرها . فإنا لأبحث الآن عن العلل والأسباب ، وإنما نسجل الظواهر الواقعة تسجيلاً . لتكن طبيعة اللغة العربية هي التي اقتضت ثبات هذه الأصول ، وليكن القرآن الكريم هو الذي اقتضى ثبات هذه الأصول ، ولتكن المحافظة التي يمتار بها الجيل العربي بين الأجيال هي التي اقتضت ثبات هذه الأصول ، ولتكن هذه الأسباب كلها مضافة إلى أسباب أخرى هي التي اقتضت ثبات هذه الأصول . كل ذلك ممكن ، ولكن الشيء المحقق هو أن الأدب العربي محتفظ بطائفة من الأصول التقليدية لا يستطيع أن يتزل عنها أو يبرأ منها .

فأعته المعربة الفصحى مقوم أساسى من مقوماته ، أو هي المقوم الأساسى



الأول بين مقوماته . وقد انحرف كثير من لباس في العصور القديمة وفي هذا العصر الحديث عن هذه اللغة المعربة لفصحى ، فانتجوا آثاراً فيها لذة وفيها متعة ولكننا لم نعد لها أدباً ، ولم نرفعها إلى هذه المرتبة التي نضع فيها هذه الآثار الرائعة والتي نستمد منها غذاء لقلوب ولعقول والأرواح . وربما كان مما يفسر ذلك ويؤيده أن أدبنا العربي لا يهمل الاستماع إهمالاً قليلاً وكثيراً ، وإنما يعنى بها أشد العناية ؛ فهو أدب منطوق مسموع قبل أن يكون أدباً مكتوباً مقروءاً وهو من أجل هذا حريص على أن يلذ اللسان حين ينطق به ، ويلذ الأذن حين تسمع له ، ثم يلذ بعد ذلك النفوس والأفئدة حين تصفى إليه .

وليس أدل على ذلك من أن العرب في جميع عصورهم لم يعنوا بشيء قط عنايتهم بفصاحة اللفظ وجزالته ، ورقيق الأسلوب ورسائته . وقد جعلوا الإعراب واصطفاء اللفظ والملاءمة بين الكلمة والكلمة في الجرس الذي ييسر على اللسان لطفه ويزين في الأذن وقعه أساساً لكل هذه الخصال .

ثم من أصولنا التقليدية في الأدب عمود الشعر ، هذا الذي لم يستطع القدماء تحديده ولكنهم حرصوا عليه أشد الحرص ، وهذا الذي لم يستطع أحد من شعرائنا أن ينحرف عنه في حقيقة الأمر مهما يقل في مسلم ودعبل وأبي تمام والمتنبي وغيرهم من أصحاب التكلف والتصنع والبديع ؛ فيؤثرونه وأمثالهم قد هموا أن يجددوا وجددوا بالفعل في كثير من الأشياء ، ولكنهم احتفظوا دائماً ، بفصاحة اللغة وجزالتها ، وبنونق الأسلوب ورسائته كما احتفظوا بالأوزان القديمة ، فلما جددوا لم يبتكروا إلا أوزاناً يمكن أن ترد إلى الأوزان القديمة على نحو من الأنحاء . ثم لم يستطيعوا على كثرة ما عابوا القدماء وحاولوا الانحراف عن مذاهبهم أن يبرثوا نفوسهم وقلوبهم وفنهم من هذا الحنين الذي فرضته البادية على شعرائها البادين . وقد كان أبو نواس من أشد الناس عيباً للقدماء من الشعراء ومحاولة للانحراف عن مذاهبهم في ذكر الأطلال والرسوم ، ولكنه ذكر الأطلال والرسوم أولاً ، كما ذكرها غيره من الشعراء القدماء ، وحين حاول التجديد إلى معاني اللهو والعبث كما كان الاعرابي القديم يحن إلى ديار هند وأسماء . فالحنين قائم عابث بنفس الشاعر وقبه منبث في فمه كما ينبث الماء في الفصن وإن تغيرت المظاهر والألفاظ . وقد أنكر أبو نواس كما أنكر غيره وصف الصرق والابل ؛ ولكن أبا نواس قد وصف

الطرق والإبل كما وصفه غيره من المحافظين والمجددين جميعاً . وقد همّ الشعراء المجددون أن يتكبروا ما ألف القدماء من صدق الشعور وإيقار القصد في التعبير واجتناب الامعان في المبالغة فتكفوا وبالفوا . ولكن تكلفهم يرد آخر الأمر وعند أيسر التحليل إلى سذاجة القدماء ، كما أن مبالغتهم ترد إلى قصد القدماء واعتدالهم ، أو تصبح مصدراً للسخر والاستهزاء .

وقد حاول الموشحون في الغرب أن يحطموا الإطار القديم الذي كان يحيط بالقصيدة ، فزاحوا بين أوزان وأوزان ، ويخالعوا بين قواف وقواف . ولكن منهم لم يستطع أن يعمر طويلاً ، ففنى في الرجل ، وأصبح لوناً من ألوان الأدب العامي الذي نبتله مخطئين أو مصيبين .

فهناك إذن أصول تقليدية في أدبنا العربي قد أشرت إلى بعضها في الشعر ولم نستقصها . وقد استطاعت هذه الأصول أن تغلب الحوادث والخطوب ولوان التطور والاعقاب وتسيطر على شعر المعاصرين في الأقطار العربية كلها . وقد يحاول الشعراء هنا أو هناك شيئاً من التجديد ، فلا يُنجحون إنجاحاً صحيحاً إلا إذا استمقوا هذه الأصول التقليدية ولم يبعدوا عنها إلا بمقدار . والنثر مع أنه استحدث بعد ظهور الإسلام وبعد تلاوة القرآن وبعد حدوث الأحداث الجسام ، قد اتخذ لنفسه أصولاً تقليدية تقارب أصول الشعر ، فحرص على اللغة المعربة ، وعلى الفصاحة والجزالة ، وعلى الرونق والرصانة ، واستبقى مسحة بدوية تشيع في نمائه فتسبغ عليه جمالاً ساذجاً لا يخلو من روعة وجلال .

ومع أن كثيراً من حول النثر قد كانوا متأثرين بالثقافات الأجنبية أو منحدري من أصول أجنبية . فقد حرص النثر على أصوله التقليدية حرصاً شديداً ، واستمد كثير هذه الأصول من الشعر الذي اتخذ لنفسه إماماً أول الأمر ثم نافسه وغالبه بعد ذلك . وقد تكلف الكتاب كما تكلف الشعراء ، واستعاروا من الشعراء بديعهم وتصنعهم ، ولكنهم خضعوا لمثل ما خضع له الشعراء من الاختيار بين التجديد المقتصد والاسراف الذي ينتهي بهم إلى السخف والازدراء . وأمر النثر في العصر الحديث كأم الشعر من هذه الناحية ؛ فكما أنك لا تسمع قصيدة ولا تقرأها إلا رحمت بها إلى أصولها لتقليدية الأولى وإلى الإطار التقليدي الذي يحيط بها وبممكنها من الثبات والاستقرار ومن الجريان على الألسنة وحسن الموقع في الأسماع والقلوب ، فنت لا نقرأ كتاباً ولا فصلاً إلا رحمت بما تقرأ إلى

الأصول التقليدية القديمة وذكرت هذا الكاتب أو ذاك من كتاب العصر القديم، ما زال الأصل في الكتابة كالأصل في الشعر: تخير اللفظ الفصيح الرصين الجزل، له معنى لصحيح المصيب، والملاءمة بين اللفظ والمعنى والمعنى والمعنى في كل ما يكون هذا الأسجام الخاص الذي يستقيم له الشعر والشعر في لغتنا العربية الفصحى، مع الحرص كل حرص على الأعراب، والايثار كل الايثار للالفاظ الصحيحة التي تقرها معاجم اللغة المعروفة وحدها إن كان الكاتب محافظاً غالياً في المحافظة، أو التي جاءت في قصائد شعراء ورسائل لكاتب وإن لم ترد في المعجمات إن كان الأديب ممحاً معتدلاً. وقد يجترئ الكاتب فيستعير من لغة الشعب أو من لغة علم الحديث أو من بعض لغات الاحبية كمة أو كلمات إن كان من مجددين خلافة في تجديد. وتقدم به في العو قصاه، فينجرف أسلوبه نحو العامة المتذلة لغير الأحرار، ونحو مذهب من مذاهب الأوربيين في القول. ونكبه عن ذلك كله متحفظاً يحفظ لا يخرج بالعربية عن صولها، وإنما يريد أن يغنها وينميها، ويعرب ما يصيفه إليها من اللغات والأساليب.

فالعناصر التقليدية في أدبنا إذن قوية شديدة القوة، مستقرة ممتنة في الاستمرار مستمرة على الزمن، وهي التي ضمت بناء الأدب العربي هذه القرون الطوال، وهي التي ستضمن بقاءه ما شاء الله أن يبقى. ولكن هناك عناصر أخرى توازن هذه العناصر التقليدية وهي التي سميتها آنفاً عناصر التجديد، وهذه العناصر التجديدية هي التي منعت الأدب العربي من الخمود، ولأمت بيته وبين المصور والبيئات، وعصمته من الجذب والعقم والاعدام، ومكنته من أن يصور الأجيال المختلفة التي اتخذته لها لساناً ويتيح لها أن تعبر فيه عن ذات نفسها فأدبنا العربي كغيره من الآداب الحية، بل كغيره من كل الطواهر الاحناعية، مكون من هذين العنصرين اللذين كان « وجست كوت » يسمي أحدهما ثباتاً واستقراراً، ويسمى ثانيهما تحولا وانتقالا. والذي يمتاز به أدبنا العربي من الآداب الحية الأخرى هو أن التوازن لم ينقطع بين هذين العنصرين، ولم يشأ عن انقطاعه جود الأدب وموته بتغلب عنصر الثبات والاستقرار، أو فناء الأدب وتفرقه بتغلب عنصر التحول والتطور. وليس من شك في أن أحد هذين العنصرين قد تفوق على صاحبه بين حين وحين في القوة، فكان



الأدب في بعض العصور مسرعاً إلى التطور ممعناً فيه ، وكان في بعضها الآخر مؤثراً للشباب حريصاً عليه . فقد تفوق عنصر لتطور بعد ظهور الاسلام بنحو نصف قرن ، حين نشأ الجيل الجديد من العرب ، وانصل بالأمم الأجنبية مستقلاً إليها ومستقراً في أرضها غازياً أو رابطاً أو عاملاً في مصالح الدولة أو مستعمراً . وانتقلت هي إليه في عقر داره في الحجاز ونجد ، سبيلاً وموالياً ، تعمل له وتقوم على خدمته وتعلمه من شؤون الحضارة والثقافة ما لم يكن يعلم . في هذا الوقت دفع العرب إلى حياة جديدة في كل شيء . ولم يكن الأدب لطيفاً في الاستجابة لهذا الجديد ، فطور الشعر في ألفاظه وأوزانه وأساليبه وفي معانيه وموضوعاته ، وبشأت فيه فنون لم تكن من قبل ، واستحدث النثر خطاباً مطولة وقصصاً مفصلة ، ورسائل موجزة بجملة . ثم كثرت أحداث السياسة ، فتطورت النفس العربية بدوافع حاجتها من داخل ، واشتد الاتصال بين الأمم الاسلامية فتطورت النفس العربية ونفوس الأمم الأخرى المستعربة بدوافع جاءت من خارج . ثم قوى الاتصال ، فم يقصر على المجاورة والمعايشة والمعاملة والتعاون على شؤون الحياة المدنية ، وانما قر العرب ما كان عند غيرهم ، وقرأ المستعربون ما كان عند العرب ، ونشأ عن قراءة أولئك وهؤلاء هذا التطور الخطير الذي نمار به العصور العباسية في القرن الثاني والثالث والرابع .

ولست محتاجاً إلى أن أفصل هذا التطور أو أطيل لقول فيه فان دقائقه معروفة تدرس للشباب في الجامعة والاماميد في المدارس الثانوية ، وإنما ألاحظ أن من أهم الأسباب التي دفعت إلى هذا التطور الاتصال الدقيق المستمر بين الثقافة العربية الموروثة من جهة وبين ثقافات الأمم المغوية المستعربة من جهة أخرى . فقد اتصلت ثقافة الهند والفرس واليونان والأمم السامية وبعض الأمم المتأثرة بالثقافة اللاتينية في أسبانيا — اتصلت كل هذه الثقافات اتصالاً يختلف قوة وضعفاً ويتفاوت سعة وضيقاً ويمايز سرعة وبطئاً . ونتج عن هذا الاتصال هذا الأدب العربي المختلف المعقد الذي تجاوز الشعر والخطابة والرسائل إلى فنون من العلم والفلسفة وألوان من المعرفة تشبه ما كان العالم يعيش عليه في القارات الثلاث بين حروب الاسكندر وقيام الدولة العربية . والدولة الاسلامية لم يرث سياسة اليونان والفرس وحدها ، وانما ورثت حضارتهم أيضاً ، وورثت معها ما كان عند هذه الأمم من ثقافات متباينة ، نقلتها كلها إلى اللغة العربية ، وحسبها كلها

في أدب العربي، بحيث يمكن أن يقال إن الحضارة الانسانية التي كان يغيب عليها الطابع اليوناني قد غلب عليها الطابع العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة ثم حدثت الأحداث وتتابعت الخطوب، وأقبل المغيرون من غرب يحملون الصليب، وأقبل المغيرون من الشرق يحملون الجهل والوحشية، وتثر العقل العربي الإسلامي بهذه الأحداث، فلم يمت ولكنه اضطرب إلى شيء من الوقوف، وتفوق عنصر الثبات والاستقرار على عنصر التحول والتطور. ومهما يكن من شيء فقد دفع الأدب العربي إلى التطور في القرون الأربعة الأولى بحكم الاتصال بالسيور بين الأمم أولاً ثم الاتصال الدقيق المنظم بينها ثانياً

والآن وقد انتهى عصر الوقوف والركود واستؤثرت الاتصال بين العالم العربي والعالم الأوروبي في أواخر القرن الثامن عشر، وقرن التاسع عشر، تسع عشر، ثم دق ونظم في هذا القرن الذي نعيش فيه، ثم انفتح العالم على الحياة المأهولة. الآن وقد كانت كل هذه ممد حدث للأدب العربي وماذا يمكن أن يحدث؟ فما الذي حدث فعرف بقرؤ الناس في الكتب، ودرسه التلاميذ في المدارس ونهروه ما كان من الرجوع إلى الأدب قديمه، وحياته بلشر ولا داعية أولاً. ثم بالتقليد والمحاكاة ثانياً. وما كان من أهم بعض اللغات الأجنبية وقراءة، ينتج فيها من الآثار. وورجعه بعض هذه الآثار إلى اللغة العربية في غير نظام ولا ارادة، وما كان آخر الأمر من الاعتراض عن الحضارة المادية القديمة والاتصال عن الحضارة المادية الحديثة، واستعارة المقوم السياسية والاقتصادية والإدارة والعسكرية وقصصية من أوربا، ثم العدول عن العلم الموروث ومناهج تعليمه، إلى اعلم إلى الحديث ومناهج تعليمه الحديثة المستحدثة، وقرار هذا كله في المدارس والمعاهد، التي حدثت تكثر وتنتشر في البلاد العربية كلها وفي مصر منها بنوع خاص.

كل هذا قد غير كثيراً من خصائص النفس العربية، واسطرها إلى أنحاء من التصور والتصور لم تكن مأهولة من قبل، وأخذ عنصر التطور يعمل من جديد، ولكنه كان تنويراً رائعاً حثيثاً. كان تطوراً يسعى في طريقين متباينين شديداً التماكس وقواه. وليس أدل من هذا لتطور عن قرة الأدب العربي وتقدمه على المفومة، واستعدادها لمغالب المصاعب والمهذبات.

فقد كان أحباء الأدب تنديه ومعارن يدفع بعض لعربي الحديث إلى وراء  
 وتقوى فيه غدر النسات والاستقرار ، كما كان الاتصال بالأدب الأوروبي  
 الخ. ث يدفع الأدب العربي إلى أمام ، ويقوى فيه عنصر التطور والاعتدال .  
 وغلب أن العقل العربي الحديث قد ثبت لهذا المتعكس العميق والمنفعه أشد  
 المنفع . وكان محشى في واسطه القرن الماضي وفي أول هذا القرن ، أن يتم المنفع  
 من عدد من الأشاهين ، فيذهب فريق من المتدين إلى وراء من غير رجعة ، وبذهب  
 فريق منهم إلى أمام في غير ثابة ، ويصير الأدب العربي بين هذين طريقين  
 المتعكس ، ولكن الأدب ثاب لهذه المحنة واستمد منها ، كما ثاب الشجرة  
 المعتمة التي شرت زبها أعف العواصف المتناثرة المتبدرة . وليس من شك في  
 أن هذا المتعكس قد كان له صرعى ، فحمد بعض المتدين وسرفوا في اجمود ،  
 ولكمهم قسوا ولم يعسوا بجموده أهدأ ، وغلا بعض المحدثين من الذين هاحروا  
 إلى أمريكا من سوريا واسان ، ولكن غاوم لم يلبث أن ردت إلى الاعتدال وتصد  
 وأشياء المهية أن الأدب العربي في اشرق الأدنى وفي مصر خاصة قد استندمت  
 له طريقة تحقق فيها التوازن الصحيح بين القديم والجديد ، حتى نحو ما نحقق في  
 الفرق والشام ومصر نام التطور لدى حدث في لقرون الأربعة الأولى ،  
 فاحتمل بأصوله التقاليدية الأساسية ولم يستعص على التطور . وبما قبل من  
 لثقافات الأجنبية الحديثة مثل ما قبل من ثقافات الأحيانية أيام العباسيين ،  
 واستحدثت من التعمون ما بالأئم العصر الحديث كما استحدثت من الفنون ما كان  
 بالأئم عصر العباسيين . وأول مظهر لهذا هو أن لعلم الحديث عنه قد أخذ  
 لغة عربية له اساناً ، وعرض كثيراً من فروعه نفسها في لغة عربية واضحة كما  
 عربن في اللغات الأجنبية المتقدمة . ثم استقر في لمالاد العربية ، يدرس في معاهدها  
 ومدارسها باللغة العربية جيماً ، واللغات الأجنبية جيماً آخر . بذهب العرب  
 اساناً في أوروبا وأمريكا ، ومحمد الأوروبيون والأمريكيون إلى العرب في بلادهم .  
 وهذا يظهر تفرق الخطين بين الاتصال لعربي قديم الثقافات الأجنبية القديمة ،  
 والاتصال لعربي الحديث بالثقافات الأجنبية الحديثة . فقد كان الاتصال القديم  
 صيفاً شديداً ضيق ، محدوداً لا يكاد يفيض به إلا أفراد يمكن إحصاؤهم . وقد  
 استطاعت كتب التاريخ أن تحفظ أسماء الذين قبلوا إلى العرب ثقافات الهند  
 والفرس واليونان ، وأسماء الذين سافروا هذه الثقافات وتمثلوها ودأعوها في

فنون الأدب العربي المختلفة . أما في العصر الحديث فليس من سبيل إلى إحصاء الدين يتعاملون اللغات الأجنبية ويعلمونها ، وينقلون منها ، بلشفه حياً وبالترجمة المكتوبة حياً آخر . فانتشار العناية بتعلم اللغات الأجنبية حملة يمتاز بها العصر الحديث . وما نعرف أن العرب في بغداد أو غيرها من الأمصار الإسلامية أنشئوا مدارس لتعلم اليونانية والفارسية وأنشئوا لجاناً منظمة مستمرة إلى بلاد الهند والروم .

وحصلة أخرى تمتاز بها الاتصال الحديث من الاتصال القديم ، وهي أن الاتصال القديم لم يكن مباشراً في كثير الأحيان . وإما كان يتم بالواسطة ، ولدين كانوا ينقلون من اليونانية إلى العربية مباشرة كانوا نقل من القليل ، وإما كان لنقل من اليونانية إلى السريانية . ثم من السريانية إلى العربية . ومن هنا وقع كثير من الخطأ والخلط والاضطراب في النقل . ومن هنا صرف بعض المذاهب الفلسفية اليونانية عن موضوعه ، وأضيف بعضها إلى غير أصحابه ، وظهر شيء من الاضطراب في تاريخ الفلسفة الإسلامية وفي الصلاة لها وبين الفلسفة اليونانية . أما الاتصال في العصر الحديث فمباشراً كما يتم بالواسطة ، ولدين يترجمون عن الإنجليزية أو الفرنسية محسنون هاتين اللغتين ومحسنون اللغة العربية أيضاً ، فينقلون عن فهم ونصيرة وفي كثير من الدقة والاتقان . وقد يوجد النقل بالواسطة ، والقياس إلى بعض اللغات التي لم ينتشر درسها في الشرق العربي ؛ فقد ينقل الأدب الفرنسي من طريق الفرنسية والإنجليزية ، وقد ينقل الأدب الألماني كدلت من طريق هاتين اللغتين ، ولكن القراء ينتظرون إلى هذا النقل في كثير من التحفظ والاحتياط ويقبلونه على أنه ضرورة موقونة سنرول حين يشيع درس اللغات الكبرى على اختلافها . ولنقل بالواسطة عندنا دق وضح ودق في الاتقان من النقل بالواسطة في العصر القديم ؛ فالدين يقرأون كتاباً ألمانياً من طريق الفرنسية مثلاً يصاهون بين ترجمتهم وبين الترجمة الإنجليزية ليتحققوا من أن تفهم مقارب يمكن أن يساغ . ولم يكن شيء من هذا ممكناً في العصر القديم ولعلنا أن تكون أجل خطراً من الحصول الأخرى ؛ فقد كان القدماء يتصلون بثقافات جانبية قليلة محدودة ، وكان اتصالهم بها بطيئاً ضيقاً قليل الاتقان . كانوا يتصلون بثقافة الهند وهي ضئيلة ، وكانوا يتصلون بثقافة الفرس وهي ضئيلة أيضاً ، وكانوا يتصلون بالثقافة اليونانية العظيمة الواسعة المتحتمة ، ولكن اتصالهم نفسه



كان ضئيلاً ؛ فهم قد عرفوا الطب والعلم على اختلافه ، وهم قد عرفوا الأخلاق وما بعد طليعة ، ولكنهم لم يعرفوا الأدب ولم يعرفوا الفن ، ولم يكادوا يعرفون من السياسة شيئاً . أما الآن فنحن نتصل من طريق مباشرة وغير مباشرة بثقافات لا نكاد نحصى . وأيسر ما يمكن أن يقال هو أننا نتصل بالثقافة الإنجليزية والأمريكية والفرنسية والألمانية والروسية ، وقد نتصل بالثقافة الأسبانية والإيطالية ، وقد قرأ كسباً ثقیلاً إلينا من بلاد أوروبا الشمالية ، وأخرى من بلاد أمريكا الجنوبية . وما أكثر ما نقرأ عن بلاد الشرق الأقصى ، وما أكثر ما نقرأ عن بلاد أخرى لم تتحضر بعد ، ولكن الأوروبيين قد راروها واستعمروها وكتبوا عنها وقبوا إلينا كثيراً من جانبها . ثم إن ثقافتنا لا تتصل بالثقافات الأحسية من طريق المكان وحده ، ولكنها تتصل بها من طريق الزمن أيضاً . فقد استكشف كثير من تاريخ الأمم ، وعُرض علينا في اللغات المختلفة ؛ فمحن نعرف من تاريخ المصريين القدماء أكثر مما كان المصريون القدماء أنفسهم يعرفون من تاريخهم . وليس من شك في أن عمما بتاريخ المصريين القدماء الآن ، أدق وأعمق وأوسع من علم المصريين في أيام لبطالسة هذا التاريخ . وقل مثل ذلك عن تاريخ اليونان والرومان ، وقل مثله عن تاريخ الفرس والهند ، وما شئت من قطار الأرض المتحضرة . فلا غرابة إذن في أن هذه الأبواب التي فتحت لنا على مصاربعها ، ونفذت إلينا منها لثقافات الأجنبية المختلفة ، تباعد بيننا وبين ما عرف العرب القدماء من حياة الأمم الأخرى . وقد استطاع أبو العلاء أن يقول :

ما رمى في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أنبائهم طرف

ولو قد نشر أبو العلاء الآن لعرف أن الأطراف التي كانت عنده ، لم تكن شيئاً مدكوراً بالقياس إلى الأطراف التي أخذ نحن بها الآن . ومن المحقق أن الإلمانية ستقيس عمما في آخر هذا القرن ، إلى علمنا نحن في هذه الأيام ، فترى لها وتشفق عليها كما نرى نحن لأبي العلاء ونشفق عليه . ومهما يكن من شيء ، فإن لفروق التي أشرت إلى بعضها ، بين اتصال الأدب العربي القديم بالثقافات الأجنبية القديمة ، واتصال الأدب العربي الحديث بالثقافات الأجنبية الحديثة ، حقيقة أن تنشئ فروقا خطيرة بين الأدبين في أنفسهم . وإذا كانت هذه الفروق

لم تظهر واضحة حلقة أثناء القرن الماضي ، فإما قد أخذت تظهر شيئاً فشيئاً أثناء هذا القرن الذي نعيش فيه . ولست أدري من قرأت لبعض الأدباء امر لسيير أن القرن العشرين بالقياس إلى الحياة الأدبية في فرنسا إنما يبتدىء بالحرب العالمية الأولى . وكاد قبل هذا التوقيت بالقياس إلى حياتنا الأدبية العربية . ففي أواخر القرن الماضي ووائل هذا القرن ظهرت المقدمات التي تنبئ بما كان أدنا مشرفاً عليه من تطور خطير . ظهرت آثار الشيخ محمد عبده وقاسم أمين والمولى يحيى وعبد الله نديم والدارودي وحافظ وشوقي ومطران ، وكان هؤلاء جميعاً وكثير من أمثالهم يصورون آخر عصر وأول عصر آخر ، يصورون دوراً من أطوار الانتقال ، فهم كانوا يحافظون على كره . ويحددون على استحياء ، ورون أن الحياة القديمة قد انقضت أيامها ، وأن فجر حياة جديدة قد أخذ ينتشر في الأفق شيئاً فشيئاً . ولم يكبد هذا القرن بخطوات فيلة حتى ظهر جيل من الشباب نظر إلى الحياة القديمة نظرة سخط عنيف ، ونظر إلى قادة الرأي هؤلاء نظرة حب ورضا وإكبار . ولكن فيها كثيراً من الإشفاق والراء ، وفيها ما يدفع أحياناً إلى الثورة والغضب . فقد كان هذا الجيل من الشباب الناشئ في أول القرن يقف من قادة الرأي موقف الأبناء من الآباء يحمونهم ويكبرونهم ، ولكنهم يشورون بهم ويخرجون عليهم سرّاً دائماً وإعلاناً بين حين وحين . والذين يذكرون الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الأولى في مصر خاصة ، يذكرون من غير شك تلك الخصومات العيفة التي ثارت بين الشباب والشيوخ في الصحف وفي الكتب والرسائل . ولعل منهم من يذكر عنف اعتقاد المارني ومنه حسب لشوقي وحافظ ولعل منهم من يذكر عنف منه حسب بالمنفلوطي . وأمل منهم من يذكر كل تلك الخصومات التي كانت تثار حول الأدب وحول السياسة وحول حرية الرأي ، في الصحف السيارة اليومية ، وفي المجلات الشهرية والأسبوعية ، وفي بعض الكتب التي كانت تذاع هنا وهناك . فقد كان هذا كله إساءة بأن تطوراً خطيراً يوشك أن يمس الأدب العربي الحديث في أغراضه ووسائله ، وفي نظوره وتصويره ، وفي تقديره للأشياء والناس وحكمه على الأشياء والناس . وفي أثناء هذا الوقت كان التعليم المتواضع يزداد انتشاراً وتغلغلاً في طبقات الشعب ، وكان الضمير الوطني يزداد يقظة وتنبهاً ، وكانت المثل العليا في الحياة تتغير في نفوس الشباب تغيراً شديداً ، وكان السلطان في مصر يضيق بذلك ويستعد لمقاومته ، وكان هذا لا يزيده

إلا استمدت وتسمها وإبراعاً إلى التطور . ثم كانت الواقعة الكبرى التي هزت الأمة ١٩١٥ خمس سنين ، وانجبت عنه الغمرة ، وإذا كثير جداً من شؤونها يتغير في الحياة لعنيفة والاقتصاد والسياسية ، وإذا مصر خاصة يصيبها من هذا التطور ظرف لا يسر به ، وإذا الجذوة المصرية تتوهج فتسفل ضوءها وشررها إلى ما حولها من البلاد العربية ، وإذا الأدب العربي يحيا في ذلك الوقت حياة عنيفة خصبة مختلفة لم يعرفها منذ زمن بعيد جداً .

ثم تتقدم الأعوام شيئاً ، وإذا قرارات تتخذ ، ونظم توضع ، من شأن أن تغير الحياة الأدبية في الشرق العربي تغييراً خطيراً . فقد كان انتشار التعليم من المؤثرات في تطور الأدب قبل الحرب الأولى ، ولكن انتشار تعليم كان محدوداً ينظمه السلطان البريطاني في كثير من البخل والتقييد . ولكن أمور التعليم ترد إلى مصر بعد الحرب ، فيمتدح ويزداد انتشاراً ، ويندفع في هذا التنوع والانتشار ويصدر الدستور فيلزم لدولة «عطاء المصريين جميعاً مقداراً من العلم يمكنهم من أن يقرءوا ويفهموا ويضطربوا في الحياة . وتجد الدولة في تنفيذ هذا الدستور مسجحة حياً محققة حياً آخر ، ولكنها تزيد عدد الثرائين على كل حال . وقد طغرت مصر منذ ثورتها في أعقاب الحرب بحض من حربة التفكير والتعبير لم يعرفه من قبل ، واشتدت فيها الخصومات حول المثل العليا في السياسة والأخلاق والاقتصاد والأدب والفن . فكان هذا كله أشبه شيء بالحطب الحار يلقي في النار المضطربة فيريدها تلقياً واضطراباً . وقد صدمت مصر بأوان من السكوارث في حياتها السياسية حدث من حرية الرأي ونقول بين حين وحين ، ولكنها زادت العقل المصري قوة وبدأ ، لأنها عنته لمكوف على نفسه ، وفنقت له ألواناً من الحيل لتعبير عما كان يريد أن يعبر عنه . ولست أدري أكان من الدافع ثم غير الدافع لمصر أن تتعثر في حياتها السياسية ، ولكن الشيء الذي لا أشك فيه هو أن هذه الأزمات السياسية التي وقفت الإنداج الأدبي شيئاً ما ، قد أنصبت هذا الأدب العربي ومنحته صلابة ومرونة في وقت واحد . عنته كيف يثبت للخطوب ، وكيف ينفذ من المشكلات :

ولم تكن مصر منفردة بهذا التطور لعنيف ولا بهذه الأزمات التي كانت تكو بها مرة وتنهض بها مرة أخرى ، وإنما كان هذا كله حظاً شائعاً لبلاد الشرق العربي كله تقريباً ، فخرى التطور الأدبي متوازناً شيئاً ما ، ولكن مصر امتازت

بمكانها من السبق في السياسة وفي الاقتصاد، وبما تتيح لها من الثروة التي مكنتها من الإسراع إلى نشر التعليم على اختلاف فروعها. ويكفي أن نلاحظ أن مصر أنشأت جامعتين في أقل من ربع قرن، ونشرت التعليم الثانوي في جميع عواصم الأقاليم، ونشرت التعليم الابتدائي في جميع المدن، ونشرت التعليم الأولي في كثير من القرى. ذلك إلى تنوع هذا التعليم واختلاف فروعها، وإلى ما نشئ من مؤسسات المختلفة التي تعنى بهذا التفرع أو ذاك من فروع المعرفة، وإلى إرسال شباب إلى العواصم الأوروبية الكبرى، واستدعاء الأساتذة من هذه العواصم على اختلافها. كل هذا جعل مصر مركزاً خطيراً من مراكز لثقافة العالمية في الشرق. وكل هذا فتشع الأدياء أبواناً من التفكير وشق لهم طرقاً إلى الإنتاج، كانوا ليعرفوها لو جرت الأمور في مصر على ما كانت تجري عليه أثناء الاحتلال وقبل إعلان الاستقلال وإصدار الدستور.

ثم صدم العالم صدمته الثانية، وكانت الحرب العالمية الأخيرة، وذابت مصر من مرارتها غير قليل، واصطلت بعض نارها ست سنين. وكان ثم ما من الأدب من هذا كله فرض الرقابة على الإنتاج العقلي. ولست أدري إلى أي حد ضاق الأدياء بهذه الرقابة، ولكن الذي أعلمه هو أن هذه الرقابة لم تمنعنا من الإنتاج الأدبي الخالص. ولعلها صرفت بعضنا عن الأدب السياسي فاضطررته إلى إنتاج آخر لعله أن يكون أبقي وأجدي من الأدب السياسي. ولأضرب لذلك مثلاً الاستاد العقاد، فقد صرفته ظروف الحرب عن عمقه السياسي وقتاً ما. ولست أعرف أضاق بذلك أم لم يضق، ولكنني أعلم أنه دفع إلى ألوان جديدة من البحث والتفكير، ونجح كتباً ما أشك في أن قراءه يؤثرون أيسرها على دبه السياسي كله. وجملة لقول أن الأدب العربي الحديث خضع أثناء ربع قرن لمؤثرات كثيرة مختلفة دفعته إلى تطور خطير من جميع نواحيه: دفعته إلى التطور في شكله وفي موضوعه، ودفعته إلى التطور سعة وعمقاً وتنوعاً واختلافاً. ويكفي أن نستعرض الفنون التي يمارسها الأدياء لتبين صدق هذا التقدير؛ فقد أدركنا هذا القرن وأدنا العربي ينقسم إلى شعر ونثر. وكان شعرنا قديماً يحاول التجديد، وكان نثرنا كسباً يسيرة وفصولاً تنشرها الصحف، بعضها عن السياسة، وبعضها عن الحياة اليومية وبعضها يحاول التعرض لبعض شؤون الاجتماع، وقليل منها كان يفرغ للأدب الخالص فراغاً تاماً. وكان عندنا تمثيل يستعير قصصه من أوروبا ولا نكاد نجد



عمره على المقارنة ، ولعلنا كما نرى في فن التمثيل أكثر مما كنا نحس إليه .  
وكان له ول لعدد فذهب فيه مذاهب القدماء ، وكان الشباب يريدون أن  
يحدوا هذه لحد فلا يظفرون إلا بالاعراض والانكار . وقد حاول بعضنا أن  
يحدث في الأدب ممأ حديثاً ، حاول المولى سى رحمه الله أن ينشئ قصة فأنشأ مقامة  
طويلة ، وحاول حافظ رحمه الله أن يتحدث إلى سطحي فله يصعب شيئاً .

ثم بين الحربين فقد دفع أدباؤنا إلى الأعاجيب . وكان أول هذه الأعاجيب  
هذه الخصومات السياسية التي استرت اللغة تيسيراً غريباً ، ومنحت العقول حدة  
رائعة ونماداً بديعاً ، واستطاعت أن تشغل الجماهير وتعلمهم العناية بالأمور العامة  
والاهتمام لها والتفكير المتصل فيها . وأحدثت أو قل أحييت في النثر العربي فن  
الهجاء الذي تقنه الجاحظ وقصر فيه من جاء بعده من الكتاب . فقد أصبح  
هذا الهجاء السياسي من أهم الألوان لأدبنا العربي الحديث ، فيه الحدة والعنف  
وفيه المتعة والمزجة ، وفيه التنوع والاختلاف بتنوع الأمزجة واختلافها ، وفيه  
الايجاز والإطناب ، وفيه التصريح والاشارة .

على أن هذه الخصومة لسياسية لم تمس النثر وحده ، وإنما ردت إلى شعرائنا  
الشيوخ شيئاً من شباب ، ففازمت نفس حافظ وشوقي رحمهما الله واستطاعا أن  
يتصلا بالجمهور بعد أن كانا قد بعدا عنه شيئاً . وهذا الشباب الذي رد إلى شوقي  
في عقب الحرب لعملية الأولى دفعه إلى تقليد الشعراء التمثيليين الأوروبيين  
فأنشأ شعراً تمثيلاً قد نرضى عنه ولا نرضى عنه ، ولكن كثيراً منه فتر الذين  
قرءوه وصمغوه في دور التمثيل .

وهذه الخصومة السياسية دفعت الأحزاب المختصة إلى التنافس فافتت  
بما جعلت تنشر من المقبول ، وإذا الأدباء يستعرضون الأدب القديم يحويوه  
حياة جديدة بال نقد والتحليل . وإذا هم يستعرضون آداب الأوروبية الحديثة  
بذيعومها ناقدين وعلماء مترجمين ، وإذا هم بعد هذا كله يرقون إلى إنشاء  
الدراسات التي تطول حتى تصبح كتباً تسقى بنفسها ، وتقص حتى تصبح فصولاً  
تنشر في الصحف والمجلات ، ثم يجمع بعضها إلى بعض فإذا هي سفار قيمة يحد  
منها القارئ نفعاً ولذة ومتاعاً . فهذا نوع جديد من الأدب عرفه الأوروبيون  
منذ زمن بعيد ولم نعرفه نحن إلا في هذا العصر الحديث . ثم ننظر فإذا تمثيل  
شعبي ينشأ حاجة بصور حياة الثورة وما استتبعته من تطور الأخلاق وتغير القيم ،

وإذا نحن اشعنا بهذا التمثيل الشعبي، ولكنا نشبهه بهو وقطع الرقت ولا نرى به إلى مرتبة الأدب الرفيع، فيشعرنا ذلك بأن التمثيل مكانة أدبية يجب أن نعرف له في مصر. وإذا نحن بشئ فرفقه بتمثيل، وإذا القصص التمثيلية نوصع لها حيناً وترجم لها حياً، وإذا أدباً التمثيلي قد نشأ متوابعاً ولكنه قد نشأ على كل حال. وكل هذا لا يكفيننا، فقد قرأنا القصص الأوربي طويلة وقصيره ومتوسفه، وقرأنا في المجلات المختلفة، وسألنا أنفسنا شاعرين بذلك أو غير شاعرين: ما بالنا لا نقص في لغتنا كما يقص الأوربيون والأمريكيون في لغاتهم؟ ثم حاولنا مقلدين أول الأمر، مبتكرين بعد ذلك، وإذا نحن نبلغ من الإجداد في هذا الفن الجديد حظاً عظيماً، وإذا قصصنا يشيع في الشرق العربي ثم ينقل إلى الغرب الأوربي، وإذا قصصنا يختلف في موضوعه وأغراضه ومذاهب الكتاب فيه على نحو ما يختلف القصص الأوربي في هذا كله. وإذا نحن قد دفعنا شاعرين أو غير شاعرين إلى أن نسمو أدبنا العربي إلى مكانة الآداب الحية الكبرى، وبلغنا من ذلك حظاً ليس به بأس وإن لم نبلغ من ذلك ما نريد. ومتى بلغ الناس ما يريدون!

والشئ الذي ليس فيه شك هو أن أسرار الموارنة بين أدبنا هذا الحديث الذي لا نكاد نرضى عنه أو نقنع به، وبين أدبنا ذلك تقدمه الذي فتنا به فنونا، يدل على أننا قد وثقنا بالأدب العربي وثبة لم يكن تقدماء يخدمون بها ولم نكن نخاطر لهم على بال. وقد كان عصر العباسي عصرًا ممتازاً في التاريخ الأدبي من غير شك، ولكن عصرنا نحن أشد منه متيلاً وأكثر منه حصاً وأعظم منه استعداداً للبقاء.

على أن هناك تطوراً آخر لأدبنا الحديث أعظم خطراً وأبعد أثراً من كل ما قدمت، وهو الذي سيوجه الأدب في المستقبل القريب إلى غاية التي لا يستطيع عنها تحولا أو انصرافاً فيما عتقد. وهذا التطور الخطير وجهان: أحدهما يتصل بأشخاص الأدباء، والآخر يتصل بالموضوعات التي يطرقها الأدباء. فأما الوجه الأول فنستطيع أن نلمح فيه في سهولة ويسر إذا نظرنا إلى حفظ وشوق والمنفعة من جهة وإلى تعقيد والمآل وهيكلي من جهة أخرى. فقد كن الأدباء الثلاثة الأولون لا يعيشون لأدبهم وإنما يعيشون بأدبهم. أريد أنهم كانوا يتخذون الأدب وسيلة إلى الحياة وإلى حياة لا تقتصر بالاستقلال. كان كل واحد منهم

في حاجة إلى حماية تكفل له مئسّر من العيش والمكّنة ولا بد له من «مسين» كما يقول الأوربيون، يحميه ويعطيه ويحفظه بالرعاية والعتاية، ويدفع عنه العاديات والخطوب. أمّا الثلاثة الآخرون فتأثرون على هذا النوع من الحياة، منغصون لهذا النوع من الأدب، يكبرون أنفسهم أن يحميه هذا العظيم، وذلك، ويكبرون أنفسهم أن يرعاه هذا القوى أو ذلك. هم يعيشون أولاً ويعيشون أحراراً، ثم ينتجون أولاً وينتجون أحراراً، وهم يربون أن يؤدوا عن إنتاجهم الأدبي حساباً لهذا أو ذلك. هم مستقون في إنتاجهم الأدبي بأدق معنى هذه الكلمة وأكرمها. وقد تقول إنهم ينتجون للجمهور، فهم مديون للجمهور بحياتهم الأدبية. ولكن الجمهور هذا شيء شائع مجهول لا يستطيع أن يعث حرية الأديب ولا أن يعرض كرامته لما لا يحب. وكل إنسان في بيئته متحفرة إما يعيش للجمهور والجمهور، كما أن الجمهور نفسه يعيش لكل إنسان وكل إنسان فالشاهرة الخيرة في أدب الحديث هي هذه الكرامة التي كسبها الأديب لأنفسهم ولأديبهم وأتى مكتسبهم من أن يكونوا أحراراً فيما يتون وفيما يدعون.

أما الوجه الثاني لهذا التطور فهو أن هذه الحرية نفسها قد فتحت للأديب أبواباً لم تكن تفتح لهم حين كان الأدب خاضعاً لسيادة والعتاء. وقد أثرت ظروف التطور الإنساني في توجيه هذه الحرية. فقد كان الأديب القدماء يؤثرون لسيادة والعتاء بما ينتجون، فأصبح الأديب المحثون يؤثرون أنفسهم ويؤثرون الفن ويؤثرون الشعب بما ينتجون. وكذلك عصف الأديب على أنفسهم خللوا وعرضوها، واستخرجوا من هذا التحليل عملاً كثيراً ومتاعاً عظيماً. وكذلك فرغ الأديب لفنهم فتودوه كما يريدون وكما يستطيعون وكما يريد الفن، لا كما يريد هذا السيد أو ذلك.

وكذلك عكف الأديب على الشعب، خعبوا يدرسونه ويتعمقون درسه، ويعرضون نتائج هذا الدرس، ويفشرون الشعب على نفسه فيما ينتجون له من الآثار. وهذا كله قد دفع الأدب إلى الصدق والواقعة، وحمله إنسانياً لا فردياً، ووضعته حيث وسعت الآداب الحية الكبرى نفسها بحكم التطور الذي دفعها إليه ظروف الحياة الحديثة.

فاذا أردنا أن تبين الاتجاهات التي سيدفع إليها الأدب العربي غداً، بعد أن عرفنا اتجاهات الأدب العربي في ماضيه القريب والبعيد، وبعد أن رأيناها بحيا بين

## الأدب العربي بين أمسه وغده

أندينا في حاصره الذي نشهده الآن، وقد يُعْمَل إلى ما نستطيع أن نستطيع هذه الاتجاهاً من بعض الحقائق الواقعة. وأول هذه الحقائق الواقعة هو هذا الاستقلال الذي كسبه الأدباء لأنفسهم ولأدبيهم. فبهم قد أخذوا بحظ من الحرية. وهم لن يكتفوا بما أخذوا، ولكنهم سيمعنون في استقلالهم وحريتهم حتى يرتفعوا عن كل رقابة مهما يكن مصدرها، وحتى يتعرضوا — وقد تعرضوا بالفعل — لبعض الأذى في سبيل هذه الحرية.

ومن هذه الحقائق الواقعة أن التعاليم يتشتر انتشاراً هائلاً، ينشأ عنه كثرة القراء من جهة، واختلاف هؤلاء القراء في حظوظهم من الثقافة من جهة أخرى. وسيكون لهذه الحقيقة تأثير خطير، في الأدب، فسيحرص بعضهم على كثرة القراء وانتشار آثاره، وسيضطر إلى ملاحظة هذه الكثرة كما كان الأدباء أقدماء يلاحظون سببهم وموالتهم. وسيضعف أدب هؤلاء حتى يصل إلى الابتدال أحياناً، ولعلنا نشهد بعض ذلك منذ الآن. وسيحرص قوم آخرون من الأدباء على كرامة الفن وجوده أكثر مما يحرصون على انتشاره وشيوعه، فيحدون أدبهم ويحفلون بهذا التجويد، ثم يرسلون أدبهم إلى القراء غير حافين بالرضا أو السخط، ولا بما يتحبه الرضا أو السخط من انقراض والثراء.

وهؤلاء هم قوام الحياة الأدبية، وهم هداة الناس وقادتهم إلى الحق والخير والجمال.

وهناك حقيقة واقعة رائعة، وهي أننا نعيش في عصر السهولة والسرعة، في عصر الراديو والسينما والصحف اليومية والمجلات اليسيرة والجمهور «تقاري» الضخم والمواصلات السريعة، وكل هذا سيعرض الأدب والأدباء، وقد أخذ يعرضهم بالفعل، لآلة قاسية، فسيلتجى الراديو والصحف والمجلات إلى الأدباء، وستعجلهم في الانتاج، وسيضطرهم إلى السرعة، وسيحول بينهم وبين الآلة التي تمكنهم من التجويد، وسيجدون أنفسهم بين اثنتين: إما أن يستجيبوا للراديو والصحف والمجلات فيضعف فيهم ويبتذل بعض الشيء، وإما أن يمتنعوا عنها فيشقوا على أنفسهم ويخلوا بين الجمهور وبين أصحاب الأدب الرخيص. ولكن الظن أنهم سيلتزمون بين هذا كله، فيؤثرون النفس بالانتاج الهادئ البطيء الذي يحتفلون به ويمرغون لتجويده ويذيعونه في الناس متى أرادوا هم لا متى أراد الناس، ويقدمون إلى الجمهور من طريق الراديو والصحف والمجلات دباباً يسيراً،



مهما يكن من يسره فإن يكون من الرخص والابتذل بحيث يصبح خطراً على الجمهور .

وهناك حقيقة واقعة حاسمة ، وهي أن هذه الثقافات الكثيرة التي تصل إلى أدبنا الآن من كل وجه ستوجه كناناً اتجاهات مختلفة ، فمنهم من يسير الثقافة الانجليزية ، ومنهم من يسير الثقافة اللاتينية ، ومنهم من يذهب مذهب الروسيين في الأدب ، ومنهم من يذهب فيه مذهب الأمريكيين . وبوشك هذا الاختلاف أن يمسد الأمر على أدبنا نرى لولا أن أدبنا ليس بدعاً في ذلك من الآداب لكبرى . فكل أدب خلق بهذا الاسم يأخذ ويعطى ويتلقى الثروة من كل وجه . والمهم أن يحتفظ الأدب بشخصيته وبحرص على مقوماته ، ويحسن الموازنة بين عناصر الثبات والاستقرار وعناصر التحول والتطور . وسيوجد بين أدبائنا من يتطرف في هذه الناحية وفي تلك ، ولكن ستوجد بين أدبائنا هذه الصفوة التي تعرف كيف تلاءم بين مصادر الثروة الأدبية عن اختلافها ، وكيف تستخلص منها هذا الرحيق الذي تقدمه غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنموس .

وهناك حقيقة واقعة سادسة ، وهي التي أريد أن أهتم بها هذا البحث طويلاً ، وهي أن الحياة الإنسانية على اختلاف بيئاتها تتجه الآن اتجاهات شعبية لاوردية . ومن طبيعة هذه الاتجاهات الشعبية أن تستغرق كل شيء وتلتهم كل شيء . ومن طبيعة الأدب الرفيع والفرس الجميل أن يختار ويبدى انتماء في أي قوة مهما تكن . فسيمتحن الأدباء فيما يحرضون عليه من الامتياز ، وسينعرون إما للعزلة المؤدية أو الخلطة التي تدعو إلى الابتذل . ولكنهم سيلائمون في أدبنا العربي كما لاءم رملاؤهم في الآداب الأخرى بين امتياز ذبيهم الرفيع وضموح الشعوب . أي أن تستغرق كل شيء . وسيكون أدبهم الرفيع الممتاز مرآة صافية صقيلة رائعة لحياة الشعب ، يرى فيها الشعب نفسه فيجب منها ما يحب ويغض منها ما يبغض ، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال ، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح . وينظر الأدب العربي الحديث في ذا هو في مستقبل أمه كالآداب الحديثة الكبرى ، فائد الشعوب إلى مثلها العليا من الخير والحق والجمال .

طه حسين

## تكافؤ الفرصة

بين الجد والهزل

سيدى الدكتور

أما الجد فقد فرغنا له ثلاث سنين ، وفرغنا منه فى سنة ١٩٤٤ — وأما الهزل فقد بدأ فى سنة ١٩٤٥ . ولكل من الجد والهزل مقياس . والمقياس لفة هو القانون . فإذا أردت أن تعرف حد الهزل فى « تكافؤ الفرصة » وجب أن ترجع إلى رجال القانون الذين يتولون شؤون التربية والتعليم ، فقد قالوا « إن الهزل ضد الجد . والمراد به أن ينطق الإنسان بالعبارة راضياً مختاراً . لكنه لا يريد معناها الحقيقى ولا المجازى ، بل يسدر عنه الكلام لعباً محضاً لا يقصد به أى معنى » . ولا أكتفك يا سيدى الدكتور أننى تشاءمت بعبارة « تكافؤ الفرصة » عندما اهتدينا إليها فى سنة ١٩٤٣ . فمن الألفاظ ما يجر الشؤم على المعانى ، ومنها ما يجر الفأل والبركة . وكان حليقاً بنا أن نستلير من هذين المنطيين وبخاصة لفظ « التكافؤ » ، فقد جرى به قلم محكمة النقض والإبرام سنة ١٩٣٤ . جرى به هذا الفلم فى معرض المهارة والسب والقذف ، فقررت المحكمة العليا أن القذف والسب المتبادلين لا يقتضيان التعويض لما بين القاذفين من تكافؤ فى السيئات . ولذلك قلت إننى تشاءمت بهذا اللفظ . وهأت ترى أن مبدأ تكافؤ الفرصة أصبح سيئة من السيئات كما قررت المحكمة العليا . وقد أدركت الآن أن تطبيق هذه القاعدة تطبيقاً صحيحاً يدك نظام المجتمع المصرى ؛ لأن تعليم الفقراء يقرر الأغنياء ، وفقر الأغنياء داهية دهياء . ولا نحى عليك يا سيدى الدكتور أن المتعلمين هم رينة المجتمع . ومن الخطأ البين أن نحاول تعليم الشعب كله فيصير لشعب كله زينة . وإحالك لا تحهل أن « أمراض الرينة » عند الأطباء من الأمراض الملعونة . ومن عجب يا سيدى الدكتور أنك تحطب وتكتب ، ولكبك لا تعلم حقيقة ما تكتب ولا تدرك معنى ما تقول . أنت من أضعف خلق الله ، ولكن الله وضع فيك سرّاً . وقد رأينا من ضعاف الناس من

تجرى على ألسنتهم سرار الغيب ، وهم لا يعلمون أنهم يتكلمون بما وراء العيب .  
 ون كلامهم كما يقول الصوفية : مسخلص من الضائع متصل بحقيقة  
 الحقائق . وقد تعودت أن أرجع إلى مواضع « ضب المعاني » في « مدارك »  
 الصوفية لأدرك معنى قولك ، وما تجرى الغيب على لسانك . من ذلك أني قرأت  
 لك مقالا في إحدى المجلات في عام ١٩٤١ عن مستقبل الديمقراطية بعد الحرب .  
 كان فيه أمل ومتنبيات ؛ من أمثال تكافؤ الفرصة ونشر التعليم ، ثم  
 ختمت مقالك ببيت من الشعر :

مَنْ أن تَكُن حَقًّا تَكُن أَحْسَنَ الْمَنَى  
 وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا

فلما رجعت إلى كتب الصوفية وخاصة أقوال نجم العرفان المسددة إلى قطب  
 الواصلين ، وجدت أنهم عقدوا لهذا البيت بآناً إلى أبواباً بعنوان « الأمانى الكاذبة  
 ومضارها » . ولم يقتصر كلامهم في هذه الأبواب على الأمانى الكاذبة في العلم  
 وتعلم بل تناول كذلك الأمانى الكاذبة في الغداء والكساء . ثم قالوا في أمثالك  
 يا سيدي الدكتور : « معرمون بوصول صورة وهمية خيالية . مثلكم مثل  
 الخائف والعارى يصر في وهمه صورة الغداء والكساء وهو لا يأكل ولا  
 يلبس » . وقد نحاوا عليكم باللائمة واعتبروكم محايين . وأنت تعلم يا سيدي  
 الدكتور أن النجمون شر من الأمانى وقد وصفت بعض كتاب الدنيا بأنك أمانى  
 « حمد إليهم الله » الذي لا يحمد على مكروهه سواء . فمأسسة الصوفية في أنك  
 محبون ، فهو قولهم ، العقل لوح فارغ ، والخرداء نقوش تمتش فيه ، فكيف يليق  
 بالعقل أن تكون نقوشه ما بين غرور وماني بظلمة وسر ب لا حقيقة له .  
 ولذلك ينبغي لك يا سيدي الدكتور أن تحذر شؤم هذا البيت من الشعر ،  
 كما ينبغي لي ولك أن تحذر من شؤم تكافؤ الفرصة  
 وأولى بي ولك أن أولى بمصر كنهها أن تتمثل قول الشاعر .

أمنية ظفرت نفسي بها زمنًا  
 واليوم أحسبها أضفان حلام

## تكافؤ الفرصة

لقد فلتنا « تكافؤ الفرصة » كما مر مر من الخطاب حين قال « كس بين الناس » ولكننا حفظنا شيئاً وغاب عنا أشياء .. غاب عنا أن المحبة الصادقة للعلم تمنع قبول المشاركة في المحبوب فلا ينبغي لعماء إن كانوا صادقين في محبتهم للعلم أن يسهلوا لجهلاء سبيل مشاركتهم فيه . وبهذا وحده يمكنك يا سيدي الدكتور أن تعلق محاربة من نعموا بالزمان للفقراء من طلاب العلم . وحقيقة الحال أنه لا يمكن تعليل ذلك إلا بصدق المحبة للعلم وعدم قبول المشاركة في المحبوب . وغاب عنا أن أشر إذا كان مشتركاً يصبح خيراً . وأن الأمانى أوفر حظاً في اللذة من تحقيقها . ولم يكرر ينبغي أن يغيب ذلك عنك . فأنت رعم أنك أديب الشرق ، ومع ذلك لا تذكر قول الأصمعي « تمنيك أمشيء أوفر حظاً في اللذة من قدرتك عليه » . وقد أدرك شائوك هذا الذي غاب عنك ... فتكافؤ الفرصة وهو أمنية ، أوفر حظاً في اللذة من تكافؤ الفرصة بالفعل . وقد حسبت أن الدنيا كلها معك حين بشرت بهذا المبدأ ، وغاب عنك أنك شيطان وأن الباطل كله يتحيز مع الشيطان . وكذلك حسبت أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء كما يقول المسلمون . ولهذا عاونت الفقراء ، راجياً أن تسبق إليها معهم . وغاب عنك أيها المفتون أنهم إنما يدخلون الجنة قبل الأغنياء لأنهم يموتون قبلهم .

وقد وفق الله لحلاص منك على طريقة الصوفية تماماً ، فقد فطن الصوفية لشأن التربية من زمن طويل ، جاء في كتاب الأبريز أن الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا على يد « شيخ التربية » . وأن المقصود من التربية هو « تصفية ذاتك » وتطهيرها من رعونتك . وأوجبوا على المريدين والذين يلون « شيخ التربية » من المريين ألا يرضوا سوى شيخهم ، وأن يدوروا معه حيثما دار ، وإن بعد « شيخ التربية » في الظاهر عن الحق بعداً يئس . ذلك لأنه قد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محودة في الباطن ، فيجب أن يسلم إلى الشيخ وأن ينقاد إليه كل من له عقل سليم وطبع مستقيم .

وتسألني لماذا لم أعهد في الإصلاح إلى « شيخ التربية » على طريقة الصوفية ؟ فأجيب : وما أسأنيه إلا الشيطان ، فقد زين لي قراءة كتب الحيوان ، وحملها على عهد سليمان . ثم قرأت في هذه الكتب أن « شمس المعالي » مير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان قال في الفن : « يتحير المعبر في آياته ، ويكل النظر في



معجزه ، وهو محارب حصصه من نفسه ومقاتل رماحه على ظهره ، وأنه إذا نام عنه الناس لم ينم .

وكذلك جاء في كتب الحيوان أن القنفذ كان من مستشاري سليمان الحكيم . وقد تعلم أن لا تعلم يا سيدي الدكتور أنك قمعد من الطلقة الأولى ، محارب حصصك من نفسك ، ومقاتل رماحك على ظهرك ، لا تنام ولو به عنك الناس . وقد كان القنفذ مستشاراً لسليمان الحكيم كما دل الشمس المعاني ، فاماذا لا يكون مستشاراً لصاحب المعالي .

ولتذكر يا سيدي الدكتور أن القنفذ كان يعلم الناس على عهد سليمان ، كما أنك أعلم الناس في هذا الزمان .

وقد ريتك صائق الصدر مهر من حسنت إليهم ونساءوا إليك وتجننوا عليك . ثم قال رجل طويل النسان بينهم : « كلاب » يلهون مع اللاهين ، ويسهون مع الساهين ، ويقبلون مع المسئين . لكحك يا سيدي الدكتور غضبت « للكلاب » فلم أفهم سر غضبك . وما رجعت إلى قمعد سليمان وجدت أن هذا المستشار الأول غضب « للكلاب » أيضاً .

وفي هذا يقول الرواة أن سليمان عليه السلام أرسل إلى مستشاره القنفذ لفرس والباري بدعواه فلم يجبهما ، ثم أرسل إليه الكلب فجابه وجاء به . فقال له سليمان لم لا تجيب الفرس والباري ؟ قل لأنهما خائنان ، إذ الفرس يعدو بالعدو كما يعدو بصاحبه ، والباري يطيع غير صاحبه . وأما الكلب فإنه ذو وفاء حتى لو طرده صاحبه عاد إليه ثانياً .

ويزعم الزاعمون يا سيدي أنهم يستقلون ما عملنا . وذكر أن نقرأ من لصحابة جاء إلى دار النبي عليه الصلاة والسلام فسألوا زواجه عن عبادته وقيامه وصيامه ، فدكرن لهم عبادته فاستقلوها . ثم قالوا : لسنا كالنبي فإنه عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ثم قال أحدهم : أما أنا فاصوم الدهر كله ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم الليل كله .

وهكذا لا شبيه ولا تمثيل حالك وحال أمثالك في هذه الأمة المجنونة التي تعلن أنها تنق فلان وفلان في الحال والاستقبال ، وإنما تغفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر .

مما أولئك لنفر من أصحابك فإنهم قوم لا تنق بهم الأمة ، لا في الحال

### تكافؤ الفرصة

ولا في الاستقبال ، ولم تغتر لهم من دنسهم ما تقدم وما تأخر ، فلا نعتب إن  
استقوا جهودي وجهودك ، ثم دواكم قننا إن العلم كالماء ، و... ، ولعلمهم  
قنوا كالفناء وكسقاء .

ولكم تترأب هذا القول وتسخر منه ، وتؤكد أنهم إلى الآن لم يسعوا شيء .  
دادكرياسيدي الدكتور أن ، شيخ تربية ، اصفى فندق ذات مرة البرد من :  
« إني خف من كل فعل لأنه قد يكون سداً لحلاكي هذا أردت أن أحاول  
خطوة رفعت رجلي وارتعدت في الهواء ، ثم رددتها وارتعدت ، ثم أعدتها إلى  
ناحية الخطوة فارتعدت ، وهكذا لا أتمكن الخطوة حتى يقول من رآني ما به  
إلا الجمون . وما يرئ الواحد منكم سبي الطريق حتى يدخل إلى هذه المراتبة . »

ولو أطلقنا دكافؤ الفرصة ، بلسان الخلد لقال : راضيت من غفيمة  
بالأياب ، وهو مثل في الخيبة ينسرب عند لقاعة الناس ، لم يسعى إلى شيء فلم  
يسله غير أنه لم يعطب . وتؤكد لك ياسيدي الدكتور أن « تكافؤ الفرصة »  
لم يعطب وإن خاب إلى حين .  
ودليل ذلك أنه محمود بكل لسان ، سواء في ذلك الملاك والشیطان .

أحمد نجيب الزهراوى

## الخلق في الفن

ليس الخلق أن يخرج من العدم وجوداً . إنما الخلق في الفن — وربما في غيره أيضاً — أن تنفخ روحاً في مادة موحودة . كذلك صنع أعظم الخالقين يوم أوجد آدم . لم يعد هذه العلوية إلى الفناء قائلاً : « كن ! » فكان . ولكنه مد يده إلى الطين — مادة وجدت قبل آدم — وسوى منه ذلك المخلوق الحي لا شيء يخرج من لا شيء . كل شيء يخرج من كل شيء . ذلك هو الدرس الأول في الخلق ، وقد تلقيناه عن الخالق الأكبر .

وليس الابتكار في الفن كذلك أن تطرق موضوعاً لم يسبقك إليه سابق ، بل الابتكار هو أن تناول الموضوع الذي كاد يبتلى في أصابع السابقين ، فإذا هو يصىء في يديك بروح من عندك . الكثير من موضوعات « شكسبير » نقل عن « بوكاشيو » . ولعمري « مولير » عن « سكارون » . و « جوته » في فاوست عن « مارلو » . وما سى « راسين » عن ماسى « ايروبيد » . وايروبيد وسوفوكل وشيل عن « هوميروس » ، وشعراء الشعب المجهولين المنقطلين بالأساطير . . .

ليس الموضوع في الفن بذى خطر . وليست الحوادث والوقائع في القصص والشعر والمثيل بذات قيمة . ولكن القيمة والخطر في تلك الأشعة الجديدة التي يستطيع الفنان أن يسحرجها ، من هيكل تلك الموضوعات والحوادث والوقائع . إن الفن ليس في الهيكل . إنه في الثوب . الفن هو الثوب الحديد الذي يلبسه الفنان ليهيكل القديم . إنه الكسوة المتجددة لكعبة لا تتغير .

وليس هذا بالمطلب اليسير . فما أشق الابين بجديد في موضوع غير حديد ، وما أعسر الكشف عما لم يكشف في بناء تفتحه العيون ، ونقب فيه العقول ، في كل الشعوب وكل الأزمان . من أجل هذا كان عمل « راسين » في « ندروماك » تلك الشخصية التي تناولتها من قبله المواهب والأدهان ، عظيم في تاريخ الأدب من عمل « بولسون دى تيراي » في « روكامبول » ، تلك الشخصية التي اخترعها من رأسه اختراعاً ، ونسج حوادثها العجيبة من مخيلته نسجاً .

### المخلق في الفن

قال « شسترتون » فيما أذكر ، « مقدمة لكتاب من كتب « ديكتر » : إن الشاعر خصب القريحة ليس ذلك الذي يسلك طريق الإغراب ؛ فإن رفع مراتب الابتكار قد يقسمها شاعر يتقنى في « الربيع » .  
وقد تسألني : ما هو الابتكار ؟ وأقول لك بسرعة وبساطة : هو أن تكون أنت ، هو أن تحقق نفسك .

إن أعظم معجزة في الكون للحاق الأعظم هي « شخصية الإنسان » ملايين الملايين من البشر تتعاقب ، فلا مناطق شخصية أخرى تمام الانطباق ، في الأجسام والمشاعر والعقلية والروح والدوق والطبع . كل شخص يظهر في الأرض جديد ، جدة تنشق معه وتختفي معه إلى أبد الآبدين . أي معين من المخلوق الإلهي لا يضب ! وهذه الجدة في المشاعر والعقل والروح لو لازمتنا طويلاً لرأينا بها العجب . ولكن ناموس القوى والضعيف يفعل فعله ، وجاذبية الأجسام الكبرى للصغرى تسرى إلى الآدميين أيضاً . فما تكاد تولد حتى يتلقفها الكبار من حولنا ، فلا يبصر الأشياء إلا بعينهم ، ولا نسميها إلا بما وضعوا لها من أسماء وصفات وسمات . لقد كتب علينا هذا المصير : أن نفقد جدتنا ونحس في المهد ، وأن نلف في أردية القدم منذ الطفولة ، وأن ننفق آباءً ناعيوننا الجديدة باللمسة الأولى ، وأن يصمموا آذاننا بالصيحة الأولى . ومن فرمة ما يبعث البصر وواجه الدنيا بعينيه هو فابهر ، فهو ذاك الذي نطلق عليه فيما بعد اسم « الشاعر المبتكر » . على أن الخطر رافض أيضاً في محيط الفن فهناك الشخصية القوية كالنواة في الذرة ، شدة اليها الشخصيات الصغرى ، فأعمت أنصارها ، فلا ترى إلا ما ترى الكبرى ولا تقول إلا ما تقول . فإذا سئلت عن « الربيع » قالت ، لا ما تحس هي وترى ، إن ما سمعت ورائت من خلال سطر نفس كبيرة مشرقة في عصرها أو في عصور الغابرين . إلى أن تتحطم الذرة ، وينفطر عقد النواة ، ويتحرر من تتكشف له نفسه ، فيقول قولاً ندرك من ساعتنا أنه له . فالصوت صوته ، والمبرة برته ، والفرحة فرحته ، والدمعة دمعته . فنصيح معجيين : هذا قول مبتكر . وهو ما زاد في حقيقة الأمر على أن حقق نفسه .

لكن . . ما نصب تحطيم الذرة في الفن أيضاً ! وأي دوى وانفجار أيضاً لهذا الحدث في تاريخ الآداب والفنون ! إن بروز الشخصية مفروزة جلية هي



معجزة إيمان . كم من الجهد بذل « يتهوون » لينطلق من نواة « موزارت »  
إن آثار هذا الجهد لم تزل بقية في ساهونيه الأولى . وما روع كفاح « جونه »  
في شبابه مع «فرانه الشعراء في سبل التحرر من تأثير « فولتير » والخروج عن  
لطاق حاديته . إنها لمصيبة مؤلمة تلك الجهود التي تمذهبها المجوم لتضيء في  
حصرة الشمس . وإنها لتعيش في انتظار الساعة التي تصبح فيها شمساً بدورها  
تجري من حولها النجوم .

على أن شخصية الفنان لا تتكون إلا من كلمة «عمل» . إن العمود الفقري  
لشخصية الفنية هو سلسلة آثار ، يستطيع الباحث أن يقتنع في حلقاتها صفاته  
وعيوبه ولوازمه وعاداته ، ومزاجه واتجاهاته . لهذا كان على النقد الفني أن  
يفرق دائماً بين صان في أعماله الأولى يتماس خطه نحو شخصيته ، وأنه نعرف  
له طريق واتجاه . فقضية النقد للأول تتلخص في : « كيف صنع هذا ؟ » .  
وقضية النقد لثاني هي : « لماذا صنع هذا ؟ » . الأول لم نعرف له شخصية  
بعد ، فعلياً أن نعينه على معرفة طريقه إليها ، فسأله : كيف أتيج ذلك الأثر ؟  
ما موجباته ؟ وما دوائه ؟ وفي أي خطى يتأثر ؟ وفي أي طريق يسير ؟

أما الثاني وقد عرف شخصيته ووجهه ، فواجباً أن نسأل : « لماذا أخرج  
للساس هذا الأثر الأخير » . ليحقق به أي حاسب من حوالب شخصيته التي  
نعرف عنها الكثير ؟ لماذا صنع هذا ؟ أتري لغرض منه تأكيد فكرة من  
أفكاره ؟ أو الرجوع عن بعض هذه الأفكار ؟ أو الخسوع لاحساس بعينه  
بلاحقه في كل أثر من آثاره ؟ ..

النقد للأول موحه ، والثاني مفسر . ينبغي للنقد الفني أن يوجه الأول  
إلى شخصيته التي لم يظهر ، وأن يفسر لثاني شخصيته التي ظهرت .

بهذا يؤدي النقد واجبه في مجال الخلق الفني .

وإنه لمجال مغمم بالعجائب . وقد يدرك المسلم له أنه تابع لنظام الذرات  
والكواكب . وأساور الخالق الأعظم واحد : في صفات المخوقات وفي كبرها  
وفي طقتها المادية وفي نشاطها المعنوي .

إن الفنان يظل يبحث عن ذاته وشخصيته ، إلى أن يجدها فيصبح سجينها .  
إنه يظل يدور حول « نواة » ، طلباً للانفصال عنها والاستقلال بذاته . فإذا انفصل  
واستقل دار حول ذاته .

كل فنان ذو طالع هو حبيس طابعه . انقطع شهوراً لدراسة فنان بارز الشخصية . هب نفسك لشيطان أعماله كلها مجتمعة ، فلن يمضي لك الوقت حتى تكون قد عرفتته وأحببته وسئمته وألفته في كل إشاراته ولفثاته وارتقاعه وانحطاطه وقدرته وعجزه . إن تأمل آثار الفنان كاملة تكشف لك عن شخصيته الكاملة ، فتعرف أسلوبه في التفكير والتعبير ، وطريقته في تناول الأشياء واسكنك وقد أحطت به ونفذت إلى لبه لا بد صائح يوماً بالوجه المحمى والألفة ، دائماً هذه الطريقة ! دائماً هذا الأسلوب ! لو يخرج عنها قليلاً . ! ! كيف يخرج عنها ؟ إنها ذاته . تلك مأساة الطابع والشخصية . ما دام له طالع فلن يخرج عنه أبداً . . ولا بالموت .

كل خالق ذو أسلوب سجين أسلوبه . . حتى الخالق الأعظم .

توفيق الحكيم

# في أفق السياسة العالمية

## مشكلة المضائق

حزى الله آلهة الإغريق القدماء كل خير، فقد عثرنا شعوب أوروبا كثيراً من دروس الحياة في حائى الحرب والهدوء، وكان لهم — فيما وعته الأساطير من حيلهم — فضل السبق في كشف أهمية مضائق البحر المتوسط وتخصيصها وتأمينها، ضد المعتدين على بلادهم من لغوص البحر أو من الغائل والشعوب التي لم تمت بسبب إلى مدنهم. فقاموا على جانبي بوغاز «مستينا» بين جزيرة صقلية «الهيلينية» و«رأس يني» الشبرورة إذ ذاك حارسين ماردن، هما «سلا» و«شاربديس» قد كن كل منهما في كهف قد من صخر صلد، ولكل منهما رأس عدة تتجه كل منها صوب جهة من الجهات الأصلية أو الفرعية، وفي كل رأس منها صنائر كالحائل، وعيون كالمسائر، وأذرع كالخطاطيف، تأخذ كل سفينة منحوسة غصباً، وما تزال دائرة بها وسط «دوامة» البوغاز حتى تفرقها بمن عليها.

وكذلك فعل «دردانوس» ابن الإله الأكبر «زوس» لحماية المضائق التي تفصل أوروبا عن آسيا، ولتي عرفت باسمه «الدردنيل» إذ أنشأ مدينة «دردانا» تشرف على البوغاز عند أضيق نقطة في عروضها، وتدفع غارات الآسيويين الذين تحدتهم أنفسهم بغزو أرض هيلين.

أما مضيق مسينا فلم يلبث أن فقد أهميته على أثر ظهور روما واتساع سلطتها حينئذ حتى شمل جزيرة صقلية، وغراً حتى وصلت بنودها وأساطيلها إلى «عمد مرقل» (جبل طارق) القاعة بين أفريقيا وأوروبا، ولتي تحرس أبواب الأقيانوس فيما وراء البحر المتوسط.

وأما مضائق الدردنيل فقد استهوت بحاسنها ومناعتها فيصراً من قياصرة روما، فشيد على ضفافها حاضرة لدولها، وفيت كل مد صمته يد الآلهة، حتى بذت



المضائق والجزر الحامسة



روما نفسها ، وصنعت المصايق — وفي قرنها الذهبي مدينة قسطنطين  
الظليمة — منخورة الديبا ومعجزة الطبيعة والصناعة معاً في روعتها وبسها ،  
وفي موقعها الجغرافي اغد ، وحضارتها التي تحدث بها العالم الخارجي ، وكانت  
من أحما موضع إعجاب الناس ، ومشار حسده وحقدته جرمياً .

ولم يقف أمر جهود البشر من بني الآسـان عند تحييط المدن وإنشاء  
الحصون ، فقد تقدم الرمن وجاءت حركة النهضة الحديثة بمحترعيها واكتشافها  
فناق الإنسان الآلهة أيضاً ، واحترع الناس البارود وصنعوا المدافع والقنابل  
والمرقعات والمدمرات وسجروا كل ذلك وغيره شامية البواغيز . وكان الأرك  
العثمايون وهم في دفعتهم الحرية الأولى نحو الغرب قد عالموا الطبيعة بإيمانهم  
وتغلبوا على ما أقامه أهل البريلة أو القسطنطينية من حصون وسدود وسلاسل  
وغلل شدوها وتلقوها وسط اليم ، لدرء خطر الهجوم ، فلم يغن كل ذلك  
فتيلاً ، وصنعت القسطنطينية والمصايق منذ سنة ١٢٥٣ في قبضة الأتراك .



ولقد ظل أمر المصايق من شؤون تركيا وحدها ، بيدها مفاتيحها إن  
شاءت يسرت لحلفائها المرور فيها ، وإن شاءت أغلقها في وجه جميع الدول  
لا نمالي من تعاند . ولم يكن هذا يستغرب ما دامت تركيا متفوقة في أوروبا ،  
وكانت لها الكلمة العليا على الأقاليم المناخمة للباغيز . فلما بدأ ضعف تركيا  
وظهرت دولة روسيا الفتية الحديثة ، تحدها مبدى « بطرس الأكبر » التي  
ماضت توجه سياسة روسيا الخارجية ، وهي تخايض روسيا من عراتها الجايدة  
بين بحار مغلقة أو متجمدة أكثر العام ، واتخذ بيدها نحو الغرب والجنوب ،  
حيث الثروة والصيت والمياه الدافئة في البحر الأسود ومنه إلى البسفور وبحر  
مرمرة والدرديل والبحر المتوسط — لما كان ذلك تطورت فكرة المصايق ،  
وانخذت مطهراً دولياً كان محوره في أول الأمر النزاع بين تركيا وروسيا .

ثم واثت انهزومات تركيا على أمدى روسيا ، في أقرن الثامن عشر وأوائل  
القرن التاسع عشر ، وطورت للعالم يات روسيا الحقيقية بشأن توزيع تراث  
« الرجل المريض » في أوروبا واعتارها سطو على القسطنطينية والمصايق كنصيبها  
من الغنيمة . ووضع للدول وضوحاً لا لبس فيه أن روسيا إنما تعمل للتفوق

العالمى وتهديد مصالح الدول الأخرى وخاصة برانيا . عند ذاك اتخذت مشكلة البوارجير صفتها الدولية ، واهتمت أنظار الدول إلى هذه المنطقة ، جعلت تعمل مع تركيا الضعيفة على صيانتها وتأمينها ، لا لوسائل اتى كانت سائغة عند آلهة الإغريق القدماء ، ولا بمستجدات الدفع التى اخترعها العقل البشرى وأنتجها البحوث العلمية والمهارة الصناعية الحديثة ، ولكن بالاتفاقات والمعاهدات الدولية ، لعل ذلك أن يوفقا ضمير الدول السياسية ويجعل منه سندا يحتتمى به الضعيف وقوة يرومها القوى !

وعلى ذلك جاءت سلسلة الاتفاقات الدولية التى أبرمت فى ثمانين القرنين التاسع عشر والعشرين بشأن المصالح ، وقد كان آخرها فى متروسة ١٩٣٦

١ — ماؤها فكان فى سنة ١٨٤١ وقد أبرم فى لندن عقب الأزمة الدولية التى ثارتها فتوح محمد على الكبير ونهايته اقسطنطينية ، فقد خشيت الدول إذ ذاك أن تتقدم أساطيل روسيا فتجترق البوارجير لمساعدة الساطان ، ثم تتخذ من هذه المساعدة مركزا ممتازا به لى الباب العلى على سائر الدول . وقد نص اتفاق لندن على القاعدة التقليدية لمرعية منذ تقدم وهى أن يعتمد السلطان أن يغلق المضايق أمام السفن الحربية إذا كانت جنسيةها ، فى الحرب وفى السلم جميعا .

٢ — وفى سنة ١٨٥٦ اجتمعت الدول فى باريس لعقد معاهدة الصلح مع روسيا ، على التزامها فى حرب « القرم » أمام تركيا وحلفائها ، فانهز الحلفاء هذه الفرصة للقضاء على مطامع روسيا فى البحر الأسود والمضايق ، فلم يمساو القاعدة القديمة الخاصة بالمضايق وزادوا عليها أنهم قررروا حيدة البحر الأسود . ومعنى ذلك إزالة القواعد المحرمة ومنع محصين المنغور وحظر إقامة الأساطيل الحربية فى مياهه . وكان هذا أكبر إلال مديت به روسيا فى القرن التاسع عشر . وطلت روسيا ترسف فى هذا التمد حتى سبحت لها الفرصة للتخلص منه عقب الحرب الفرنسية البروسية ، فكان لها ما أرادت ، ثمما لوقوفها على الحياد فى أثناء الحرب .

٣ — ثم حدث تطور خفيى قبل قيام الحرب العظيمى ، فقد صؤل شأن روسيا حرييا بسبب هزيمتها الكراء أمام اليابان برتا وبحرا فى سنة ١٩٠٥ ، ولم تعد روسيا تلك الدولة التى تخشاها إنجلترا ، فقربت بينهما فرنسا وتعاقدت الدواتن فى سنة ١٩٠٧ ، وأصبحت ألمانيا لا الروسية مصدر الخطر وموضع السخط

والكراهية والخوف من الجميع . فقامت الحرب العالمية الأولى كات روسيا إلى جانب الحلفاء ، بينما انحازت تركيا إلى جانب ألمانيا فتعرضت المصايق من جراء ذلك لأقصى تجربة في تاريخها الحديث . فقد كان من صالح الحلفاء أن يستقروا الروس إلى جانبهم يقاتلون الألمان في جبهة الحرب الشرقية ، وكان الحذر وحيد الكفيل بإثارة حماسهم للحرب أن يعدوا الحلفاء بتحقيق ما يطمحون في القسطنطينية والمصايق بعد كسبها . وفعلا عقد اتفاق سرى في لندن سنة ١٩١٥ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا نص فيه على أن تكون القسطنطينية والمصايق بعد الحرب من نصيب روسيا ، بشرط أن يكون للإنجليز الجزيرتان اللتان تنحكما في مدخل الدردنيل جزيرة « تدوس » من جهة الشرق و « مبروس » من الغرب . ومع أن هذا الاتفاق السرى لم يتحقق لنشوب الثورة البلشفية في روسيا وخروجها من الحرب قبل نهايتها ، فإن شروط الاتفاق وفداحة الثمن الذي قدمته بريطانيا تنبئ عن حالة اليأس لشديد الذي استولى على السياسة الإنجليزية في ذلك الوقت .

وكانت تركيا حين دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا قد هاجمت روسيا في «توقاز» فتعذر على روسيا المماثلة المضغعة في ذلك الوقت أن تبشر بنجاح حربين في ميدانين عظيمين بعيدى الشقة ، فطابت إلى الحلفاء تخفيف الضغط عنها بحملة ترسلها إنجلترا ضد المصايق ، فقامت حملة « غاليبولى » الشهيرة في مارس سنة ١٩١٥ ، واضطرت إنجلترا إلى سحبها بخسائر جمة بعد تسعة أشهر ، لم تقو في ثنائها على إدراك شيء من غرضها الحربى الذى قصدت إليه ، وهو اختراق المصايق وفتح الطريق إلى البحر الأسود .

ثم انتهت الحرب في خريف سنة ١٩١٨ وكانت روسيا صاحبة المطامع والدعوى العريضة في المصايق والبلقان عامة قد تركت الميدان في غمرة من ثورتها راهدة في كل ما كسبته من مزاي إقليمية بمقتضى معاهدة سنة ١٩١٥ ، وعلى ذلك قرر الحلفاء أن تشرف على المصايق والقسطنطينية خطة دولية ، تمثل الحلفاء الذين احتلوا القسطنطينية وأملوا على حكومة تركيا المتهدمة شروط معاهدة « سيفر » سنة ١٩٢٠ ، وهى المعاهدة التى لم يقدر لها التنفيذ ، إذ ما لبث مصطفى كمال أن أعلن ثورته المشهورة ، وقاد الأمة التركية من نصر في ميادين الحرب ، إلى نصر سلمى جديد كان له أثره في نظام الحكم والاجتماع ، واضطر

الحلفاء أن يمددوا معه صلحاً شريفاً في لوزان سنة ١٩٢٣ . وفي هذا المؤتمر لم يعل الحلفاء شروطهم على تركيا كما اعتدوا أن يفعلوا من قديم ، وكما أملوا على ألمانيا والنمسا من قبل ، ولكن عصمت باشا ممثل تركيا الجديدة أخذ مكانه في المؤتمر على قدم المساواة مع لورد « كرزون » ممثل إنجلترا الأرستقراطي العظيم ، وجعل يعرض مطالب تركيا غير هياب ولا وحل ، ويرد على اللورد حجة بحجة . ولما جاء دور البحث في مشكلة المضائق لم ير الحلفاء بداً من قبول « شيشرين » وزير خارجية السوفيت الجديدة ، رغم أنه لم يكن يربطها بدول الحلفاء أية صلة سياسية كانت أو اقتصادية . ومن عجب في هذا المؤتمر أن يكون ممثل روسيا عدوة تركيا القديمة أقوى نصير لتركيا الجديدة وأول محام عن قضيتها ضد الحلفاء ضد بريطانيا بصفة خاصة . ذلك لأن بريطانيا التي ظلت قرناً من الزمان أو أكثر تعلن عن صداقتها لتركيا ، وتنادى بضرورة التمسك بحق السلطان في أن يخلق المضائق أمام جميع السفن الحربية ، منعاً لروسيا من التسلل بأساطيلها داخل البحر الأبيض المتوسط ، قد جاءت إلى مؤتمر لوزان تنشر مذهباً جديداً يناقض مذهبها القديم في كلياته وتفصيلاته . لقد جاءت إلى المؤتمر تبشر بالمبادئ الجديدة التي تدعو إلى الإيمان بحرية البحار وحرية الملاحة للجميع ، وعلى ذلك وجب على تركيا أن تترك المضائق حرة فلا يكون لها فيها قواعد بحرية أو جوية ، ولا يكون على ضفتها حصون أو قلاع أو حاميات أو طائرات ، ولا ترسو بمائها سفن مسلحة أو ألغام تعوق الملاحة في السلم أو في الحرب .

وهنا تساءلت تركيا وروسيا لفائدة من هذه المبادئ الجديدة ؟ يقبض أنها لم تكن لفائدة تركيا فإن حيدة المضائق تحرم عليها تسليحها وتعرضها لهجوم الأعداء في أي وقت . وظاهر أنها لم تكن لفائدة روسيا فإن هذه الحيدة تيسر لبريطانيا وحلفائها اختراق المضائق بأساطيلها الحربية ونهب بدروسيا في عقر دارها بالقرم . وقد بان أن أغراض الحلفاء من الرضا عن هذه الحيدة بالنحدرات البحرية التي أرسلتها بريطانيا بطريق المضائق لمساعدة الشترين في روسيا البيضاء ضد السوفيت ١

وأخيراً لم يسع تركيا إزاء ما كسبته في لوزان من استرداد أدرنة وراقيا وغاليبولي إلى مزايا إقليمية أخرى — لم يسعها أن تسترسل في معارضة سياسة

انجلترا بشأن المضائق ، فوافقتا على رغم احتجاج روسيا وإصرارها على تأكيد السياسة التقليدية التي تجعل شأن البواغيز بيد تركيا غنمها مما جميع السفن الحربية لكافة الدول على السواء .

وعلى ذلك نصت معاهدة لوزان على حرية الملاحة في المضائق للجميع . وضماناً لذلك قررت الدول حيدة شبه جزيرة غاليلولى وجزيرتي تندوس وأمبروس التابعتين لتركيا وجزيرتي لموس وسامتراكي التابعتين لليونان ومعظم حرر بحر مرمرة وصفتى المسفور إلى بعد عشرة أميال في الداخل . ولم يبخس الحلفاء حق تركيا كلفة في تأمين نفسها ، فرخصوا لها تحصين القسطنطينية وجعلها قاعدة بحرية وإبقاء حامية بحرية بها قوتها ١٢٠٠٠ جندي ، وكونوا الجمة دولية برئاسة تركيا لمراقبة تنفيذ هذه الشروط . وقد بقيت هذه الحال قائمة أكثر من ١٢ عاماً استطاعت تركيا في أنسائها أن تفرغ لتنفيذ برنامج الإصلاح السكاني الذي خلق من تركيا دولة قومية موحدة الأركان ، ومن الأتراك شعباً ناهضاً سرعان ما انعقدت له الرعامة في البلقان وفي الشرق الأوسط .

٤ — وفي سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ اكفر جو السياسة الدولية في أوروبا بل في العالم كله ، فقد هاجمت إيطاليا إتيوبيا وجردت عليها حيوشها وضارأها وأساطيلها وغاراتها السامة متحدة في ذلك بريطانيا ومن ورائها عصبة الأمم . ولما لم يفد توقيع العقوبات لاقتصاداً ضدها ، ووضح للناس خيبة أملهم في العصبة وفي مبدأ التأمين الجمعي ، وظهر أن ميثاق العصبة وحده لا يستطيع أن يدفع شرّاً أو يمنع عدواناً — انهزت تركيا عند ذلك هذه الفرصة السيكولوجية وأبدت رغبتها في ضرورة تعديل معاهدة لوزان بشأن المضائق ، حتى لا يتعرض لها وسلامتها لمبت دولة مهاجمة كإيطاليا . وكان من صالح إنجلترا بعد أزمة الحبشة أن يكون لها حلفاء في البحر المتوسط كتركيا وأن يكون هؤلاء الحلفاء مسلحين وبمأمن من هجمات العدو .

وكذلك انحازت روسيا إلى تركيا إذ لم يكن في مصلحتها أن تبقى البواغيز مفتوحة لأساطيل الدول تهدد ثغورها وقواعدها في البحر الأسود . وكانت المحالفة بين روسيا وتركيا قد ساعدت على تصفية الجو بينهما ونزع الضغائن من لصدور ، فلم يعد يضائق روسيا أن تتسلح صديقتها تركيا وتمتشق حسامها زياداً عن البواغيز . ولم تشأ تركيا أن تتشبه بألمانيا أو إيطاليا فتعتمد إلى القوة وخرق



المعاهدات بل آثرت أن تدعو الدول إلى مؤتمر صريح يجيب تركه على رغبتهم .  
والمعقد المؤتمر في « منترو » في يولييه سنة ١٩٣٦ وقرر إلغاء القيود الدولية  
التي وضعت في مؤتمر لوران بشأن الرقابة على المضائق ، ولص على حق تركيا في  
تسليحها وتحصينها كما تريد ، وقرر بشأن الملاحة ما يأتي :

( أ ) في وقت السلم : تكون الملاحة لتجارة حرة للجميع ، ويسمح بمرور  
السفن الحربية ، عدا الغواصات وحاملات الطائرات والبوارج التي تزيد حمولتها  
على ١٠٠٠٠ طن .

( ب ) وفي وقت الحرب : إذا كانت تركيا محايدة فيجوز على سفن الدول  
المحاربة المرور ، إلا إذا كان المرور بقرار من عصبة الأمم وللمعاونة حليفة  
لتركيا سبق أن ارتبطت بواسطة محلفة أعدت وسجلت في عصبة الأمم .

( ج ) أما إذا كانت تركيا دولة محاربة فيحظر مرور السفن التابعة للعدو ،  
أو السفن المحايدة التي تحمل وحالا أو ذخيرة للعدو ، ويبقى حق التصريح بالمرور  
في المضائق بيد تركيا لتستعمله كما تشاء ، حتى لو لم تكن هناك حرب .

وعلى ذلك عاد حق السيادة في المضائق كاملا لتركيا ، ولأول مرة في تاريخ  
المضائق انفتحت كلمة بريطانيا وروسيا وتركيا على مصالحة واحدة ، وأصبح  
مفتاح البوغاز بيد حارس الباب وصاحب البيت .



والآن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وقارب مجلس وزراء الخارجية الدول  
الحليفة الكبرى أن يجتمع في لندن ، للبت في المسائل المتعلقة التي ستتلف منها  
معاهدة الصلح النهائية ، فإن مشكلة المضائق ستطرح من جديد على بساط البحث  
وستكون مثار خلاف شديد بين الدول ؛ فإن روسيا بعد أن دعمت ثورتها في  
الداخل ووطدت مكانتها في أوروبا وفي لعالم كله بفضل ما اضطلعت به من بطولة  
في مقاومة هتلر ، ثم في مطاردة فول جيوشه إلى أسوار برلين ، ستعمل جاهدة  
على تبوء مكانها المرموق على مسرح السياسة الدولية . ولن تكتفي هذه المرة بأن  
تلعب دور المتفرج في حلبة المشكلات الدولية الكبرى ، فترضى بأن تمسك  
تركيا بمفتاح الدردنيل بعد أن نهضت روسيا حربيا وبحريا وجويا ، ولم تعد تخشى  
مهاجمة الدول ، بل على العكس يهدها الآن أن تفتح أبواب المضائق ، وأن تكون

## مشكلة المضائق

حرة ليتسنى لها الاتصال بالعالم الخارجى متى وكيفما شئت . ولن تنسى روسيا المرارة التى ذاقتها فى بدء هذه الحرب الأخيرة عندما كانت تحارب إلى جانب الألمان وضالبت تركيا بأن تغلق المضائق فى وجه بريطانيا وفرنسا فلم تستجب لها تركيا . ولن تنسى روسيا كذلك أن تركيا الجديدة قد كتلت دول البلقان قبل الحرب الأخيرة ، وكادت تخاق من شعوب البلقان اتحاداً سلافياً يناهض نفوذ روسيا ويقف حجر عثرة فى طريق تقدمها .

لذلك لم يكن مستغرباً أن تنذر روسيا تركيا فى مارس سنة ١٩٤٥ برغبتها فى إعادة النظر فى معاهدة منترو ، وأن تتوتر العلاقات بين الدولتين بدرجة استرعت اهتمام الدول ومحث الموضوع فى مؤتمر « بتسدام » . ويلوح لنا من تصريحات الرئيس « ترومان » والوزير الإنجليزى « بيتن » أن الاتجاه الجديد فى حل مشكلة المضائق وما يمثيها سيكون دولياً . ودليلنا على ذلك إصرار روسيا على أن تمثل فى المؤتمر الذى سيمحدث نظام الحكم فى ميناء طنجة ، على رغم أن روسيا لم تكن قبل هذه الحرب من الدول المشتركة فى هذا النظام ، وعلى رغم أن أسبابها كانت قد انقرضت فى أثناء الحرب بالحكم فى طنجة . فكما أن طنجة التى تقارن جبل طارق على الساحل الأفرى ستعود دولية ، كذلك تريد روسيا أن تصح المضائق فى الطرف الآخر من البحر المتوسط دولية أيضاً مثل قناة السويس . وقد أكد الرئيس ترومان هذا الاتجاه الجديد فى إحدى خطبه الأخيرة إذ قال « إن من الأسباب الملحة فى إثارة الحروب فى أورماضوال لقرنين الماضيين ، رغبة بعض الدول فى الافراد رقابة منافذ الماء فى أورما ، وتفسد بذلك نهر الدانوب والبحر الأسود والمضائق وجميع المنافذ التى عس سواحليها دولتين أو أكثر » . أما الوزير الإنجليزى فلم يعلن عن رأيه بعد ، ولكنه حمل الكلام فى خطبته الأولى وقال : « إن منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط من المناطق المهمة التى تؤثر فى الإمبراطورية البريطانية كما أنها تؤثر فى سلام العالم كله » .

يبقى موقف تركيا إزاء حيدة المضائق وتجريد هذه المنطقة من سلاحها . فإن حق تركيا الطبيعى فى الدوع عن أمنها وسلامتها يحتمل عليها التمسك بسيادتها على المضائق كما تقرر فى مؤتمر « منترو » بموافقة روسيا نفسها . فإذا استطاع الحلفاء أن يؤمنوها ضد عدوان الغير عليها ووحدت تركيا فى ميثاق الأمم

المتحدة الجديد سنناً وملاذاً يحميها ضد العدوان ، فقد تقبل تركيا أن تعود المضائق إلى نظام شبيه بنظام معاهدة « لوزان » فتعلن حرية البوغاز وحيدتها بشرط السماح لتركيا تأمين نفسها ، وذلك بتحصين النقط الاستراتيجية التي تضمن لها الاطمئنان على سلامتها . ويهم الحكومات الديمقراطية أن تبقى تركيا قوية قادرة على درء الأخطار التي قد تصيب منطقة البحر المتوسط من ناحية الشمال . ولا محل البتة لتصديق الإشاعة القائلة بإيجاد قاعدة روسية داخل منطقة المضائق ؛ إذ لا يعقل أن تتجلب تركيا أو الحلفاء شيئاً من ذلك . ولا ننسى أن أهمية النقط أو القواعد الاستراتيجية قد تضاءلت وكادت بسبب اختراع القنبلة الذرية وما يتوقع لها من مستقبل كنفيل بترويع الناس والحكومات ، وردعهم عن عبادة إله الحرب ، والتقرب له بمختلف الأسلحة . وإنا لتفعل خيراً نقول الرئيس ترومان « . . . عندما يجتمع مجلس وزراء الخارجية في لندن . . . يجب أن نسائل أنفسنا في كل ما نفعل عما إذا كان هذا الاتجاه أو ذلك يخدم السلم في المستقبل ، أو أن من شأنه أن يبار بظهور حرب أخرى في المستقبل . »

محمد رفعت

## الحرب والجامعات في بريطانيا

غابت هذه حرب نسبية كثيراً من القيم والأوضاع في حياة الغرب .  
وايس أثرها في الحياة العقلية والعسكرية هناك قل ظهوراً من أثرها في الحياة  
العملية ، وفي معالم الحضارة المادية . والذي يدرس تطور المدنية في أوربا  
الحديثة لا يملك إلا أن يمس رتمات الحياة العامة ونظم المجتمع بالحياة العقلية  
واتجاهات تفكير وثقافة ذلك أن الناس هناك ، لا سي في بلد كبريطانيا ، لا يسمي ،  
تلك كون من قديم ما يؤمنون لأن يفكروا — ويفكر لهم فريق منهم على  
الآن — في مستعمل حينهم وفي الأسس المادية والتواعد لعملية التي ينبغي  
أن يقوم عليها تنظيم مجتمعاتهم ، بعد أن هزته هذه الحرب هزتها العنيفة ،  
فكشفت عن نواح كثيرة من القوة ينبغي أن تدعى ، وعن نواح غير  
قليلة من الضعف ينبغي أن تعالج ، وخرج قليلة أو كثيرة من النقص ينبغي  
أن تستكمل .

وأول من ظهر ما يمتاز به المجتمع في الغرب ، وفي بريطانيا ، حتى نحن نصادفها  
الآن ، حيويته وحساسيته . فهو يشعر — وبشعر مفكروه على الأقل —  
بالحاجة إلى الإصلاح ، متى لاحظت بوجده تلك الحاجة في الأفق البعيد ، وهو  
يبدئ سعيه إلى الإصلاح قبل أن تاح الحاجة إليه ، وقبل أن يصبح ضرورة  
لامفر منها . وقد لا يخرج كثيراً عن الحق إذ نحن قسما حيوية الشعوب والأمم  
في الجبل الذي نحن مقبوضون عليه مقدار حساسية كل منها في الشؤون بالحاجة إلى  
الإصلاح ، والسعي إليه سعياً موحهاً يقو على أساس من التفكير ورسم  
الخطط . بدلا من الإصلاح المرتجل الذي لا يسيقه فكر ، ولا يترع بالناس  
إلى اقتناع .

وكثيراً ما حدثت مثل هذه الحساسيات المجتمعية البريطانية في تاريخها الحديث  
والمعاصر أخطار الانقلابات الخاطئة وويلات الثورات العنيفة . فكان قادة

الفكر فيه ينادون الحاجة إلى التحول ، فيغيرون من أفكارهم ومحاولون من اتجاهاتهم ، في ضوء الخبرة والتجربة ، سواء منها ما يقع في بلادهم ولحق حسمهم ، وما يقع في غير بلادهم ، ولكن في ظروف قد يتحقق ما يشبهها من قريب أو بعيد في بلادهم إن تركت الأمور دون توجسه . والغرب — أو لعله ليس غرباً — أن بريطانيا حاولت جهداً صافها أن تعلم من هذه الحرب المنتهية أكثر مما تعلم غيرها ، وأن تفيد من هذه التجارب الخطرة التي مرت بها ، أو مربها غيرها من الأمم ، إفادة قد لا تبدو كبارها عاجلة ، لأنها لا سالك سبيل الثورة ، ولكن الزمن كفيل بأن يتكشف عنها في جلاء ، لأنها تتناول نظم المجتمع في الصميم .

والذي يعنيننا الآن من حركة متطورة هذه أن تبين مكان الجامعات من التحول الجديد ، وملع مساهمتها في إرهاف حساسية المجتمع لظروف البيئة والزمين وتوارهم المتجددة ، إن مكاتب من توجه تفكير والحياة العقلية والثقافية قبل أن تستقر على النجد معين ، ثم ربط الحياة العملية عامة بالحياة العلمية والفكرية للجيل الجديد .

وليس يعنيننا في هذا المقام كثيراً أن نعدد مساهمات الجامعات البريطانية في الحرب . إذ الحرب هناك كانت كاملة شاملة ، ساهمت فيها جهات كل شأن غيرها من مؤسسات الأمة ومحتاج الدولة ، وذلك كبير من رحل الجامعات وشبابها في الحرب والقتال اشتراكاً فعلياً ، وهم عدد طلاب المتقطعين للعلم والدراسة هبوطاً محسوساً ، فأصبح مقصوداً على من لم يبلغوا سن التجنيد من الطلاب والطالبات ، أو على المتوقفين نفوقاً حرقاً ، والذين يدرسون دراسات خاصة ، تعمل من الخدم للأمة استمرارية فيها ، لعلهم يساهمون يوماً ما في تقدم العلم والمعرفة بخدمه يديكي من ربح الأمة وقدرتها على الحرب والكفاح ، أو على فئة قليلة من غير ضالحين لأحددة والخدمة العسكرية في أشكالها المختلفة ، ثم على غير متدقص العدد من الأحاب وأماء الأمم النخيدة وغير المشاركة من يدرسون في بريطانيا . كذلك ساهم أعضاء الجامعات والعلماء بالابحث فيها مساهمة فعالة في جهود بريطانيا ، في الإنتاج الحربي ، فتوثقت الصلة بين معامل البحث ودور الصناعة ، وضاعف الباحثون والمخترون جهودهم لتسخير العلم في خدمة أداة الحرب في صور وأشكال تعدد الحصر . ولولا ذلك



## الحرب والجامعات في بريطانيا

ما ستماعت بريطانيا مواصلة الحرب في الدرع أولا، ثم في الهجوم خلال  
سرت الحرب الطويلة، وعلى تلك الصورة التي اهتمت بها وبحفظها في النصر.  
كذلك وثقت الفلة بين معامل البحث وحقول الزراعة؛ فصبحت بريطانيا  
بعد انقضاء خمس سنوات على الحرب تنتج ثلثي ما تحتاج إليه من الأغذية. بعد أن  
كانت تسخر الحرب لا تنتج غير الثلث. وفي هذا عدم لا يكاد يصدق، خصوصا  
بـ راعينا أن بريطانيا منذ ثورتها الصناعية لم تكن بدار زراعي بالمعنى المعروف،  
وأن لثقله في الإلحاح الزراعي بطيء، بطبيعته، ومع ذلك فقد استطاع العلماء  
البريطانيون أن يقودوا الزراع وأن يرشدوه في مسائل الاستنبات واتقاء  
البيوض وتنوع المحاصيل وإصلاح الأراضي وتجديد الآلات ومكافحة الآفات  
وغير ذلك مما كان له أثر الرائع في إعداد البلاد من شائكة الجوع، بعد أن كادت  
حرب الغواصات أن تحول بين هبها وبين أن يطمعوا من الخارج شيئا.

قد ساهمت الجامعات البريطانية والعلماء البريطانيون إذن مساهمة فعالة في  
جهود بريطانيا العسكرية والحربية عامة؛ وكان لتلك المساهمة الحيوية كبير  
الأثر في كسب الحرب. والسكن المهم أن الحرب لم تشغل الجامعات ورجالها عن  
التفكير في السلم؛ وحتى الأقل فيما بعد الحرب من سنين قد تكون سلاما، وقد  
تكون انتقالا إلى حرب من جديد. وإنما اهتم رجال الجامعات فرصة الحرب  
ليدرسوا ما كشفت عنه من أوجه العيب أو نقص في مجتمع ترى الجامعات  
بحق أن عبها حائزا كبيرا من قيادته ورسم خطته للمستقبل، في عصر كاد العلم  
أن يزعم فيه كل مرفق من مرافق الحياة؛ فأصبح التفكير والتبصير ورسم  
الخطط والتوجيه لراما على من أراد أن يعيش من الشعوب؛ وصحح واحدا  
على الجامعات أن هي راد أن تؤدي رسالتها لمجتمع في السلم كما أدتها في الحرب  
أن تتخذ عسما وأن تعدل سياستها وتجدد من دأبها الخاصة ومن طرائقها في  
البحث والتعليم والتربية وإعداد قادة الأمة في المستقبل.

لذلك أخذ الجامعيون البريطانيون يفكرون في المستقبل رغم ما أحدثته  
الحرب من شدة وقسوة. وكان تفكيرهم في المستقبل جديا وشاملا في الوقت  
ذاته؛ ففتح المجال أمام التفكير الحر في شؤون الجامعة ووظيفتها في المجتمع،  
وكثر النقد واتسعت دائرته حتى شملت الجامعة بمعناها الأوسع، فشارك فيه  
رجالها وأبنائها وخريجوها في مختلف مناحي الحياة، بل شارك فيه رجال الأعمال

والحياة العملية في السياسة والصناعة والتجارة وما إليها . ومع أن الحكومة شاعت أن تحفظ للجامعة قداسة وحريتها فلم تشترك في اللجان العديدة التي تولدت لهذا غرض ، ولم تحاول تدخل في شئون اتعلم الجامعي ومؤسساته ، فقد كان مفهوماً أن الحكومة تشجع الفكر الحر فيما يتعلق بإصلاح شئون الجامعات ؛ كما أن السلطة التشريعية ، ورجلى لجان مجلس العموم نوع خاص ، نارت خبر قلم من النقاش حول هذا الموضوع . بل إن الغريب أن الجامعات في بريطانيا كانت تسبق مؤسسات الأمة إلى أن تعلم درساً حديداً من هذه الحرب ؛ فعدت الاساندة الأجاب الذين لحوا إليها من بلاد أوربا قبيل الحرب وخلالها ، وكانت كثرتهم من فدة فكر الحر في اقارة الأوروبية إلى المساهمة في المندقات الدائرة حول رسالة الجامعة في المجتمع والحيل ابريضي الجديد . وأخذت الجامعات بكثير من آراء هؤلاء الاساندة الأخاب في رسم خططها لمستقبل . وقد تزعمت الجامعات البريطانية الأمة في هذا الصدد بالتححرر من بعض قيود الماضي ، واخرج على العزلة المعروفة عن الخلق ابريضي .

وترتب على هذا كله أن خرجت الجامعات البريطانية من الحرب ببرنامح جديد يسير الزمن ، بل تسبق الحاضر إلى ما ينبغي أن يقوم عليه المستقبل . وهذا لبرنامج الجديد قد رسمت منه خطوطه الأساسية ومعلمه الكبرى ، كما رسمت منه بعض تفصيلاته ؛ ولكنه مع ذلك برنامج من قابل للتطور والتغير ، شأن كل برنامج يقوم على أساس من الفكر الحر والتفكير السليم . وهو فوق ذلك برنامج غير رسمي ، وضعه رجال العلم لتهتدى به جامعاتهم دون أن تنزم باتساع حرفيته ، أو بالنقيد في حدوده ؛ وذلك أيضاً شأن كل برنامج جامعي صحيح ، تحفظ للجامعة روحها وتقاليدها وراثتها في أن تحيا حرة حية ، وفي أن تحفظ لكل حمل وكل زمان حقه في أن يفكر بنفسه لنفسه .

ورسالة الجامعة كما يحددها الجامعيون تشمل مسائل أربع ؛ عرض لها البرنامج الجديد ، أو هو عبارة أصح قد أعد استعراضها لحددها في ضوء ما استجد من ظروف ، وما يجب أن يسطع به الجامعة من مهام ومسؤوليات . والجامعة بمعنى أولاً وقبل كل شيء أن تحفظ بكاتبها كركر للثقافة قوموية العليا ، تنشق فيه الأفكار فيحتك بعضها ببعض وتنفعل في ظروف مستمدة من الحياة ابريطاية ذاتها ، حتى تتخذ في النهاية طابعاً يتميز الفكر البريطاني عن غيره

وانتموه لرسالة عن غيرها : ذن الجامعة إذا لم ترتبط بالبيئة الخيطه بها لم تعد لها وجود مميز ، وإذا لم ترتبط بحياة المجتمع ونحس حاجاته العقديه والثقفيه لم تستطع أن تستجيب لتلك الحاجات استجابة تعين المجتمع على أن يؤمن بقيمتها ، فيستجيب هو من ناحيته وبما يؤمنها تغذية الجامعة من نتائج العقل وثمار الفكر . ونحرص الجامعة الآن في بريطانيا حرصاً شديداً حتى أن يؤكدوا لاس من حد من الجامعة بوجه كل بعد عن أن تكون مجرد « معهد عال » تمثل المرحلة العليا من نظام التعليم العام ؛ وهي أكبر من ذلك ، ونعم من ذلك ونعم من ذلك ؛ وهي تتصل بحياة الشعب وثقافته كلها داخل نطاق التعليم وحارجه . وقد اشرقت الدولة لها بذلك ؛ فعند ما وضعت وزارة المعارف البريطانية مشروع قانون التعليم الجديد وقرره البرلمان هناك لم يتعرض ذلك القانون بكثير أو قليل للجامعة والتعليم الجامعي .

والجامعة في ذات ذات تعني بساحية ثابته ؛ فهي القوامه على الأبحاث والدراسات التي تسميها ، الأمه في تقدم العلم وازدياد المعرفة الإنسانية . وهذه الأبحاث يدعى أن تشمل نواحي المعرفة جميعاً ، سواء في ذات علوم العقل والنفوس الخاصة ، وعلوم الأدب واستغلاها العلمي في قضاء مصالح المدينه . وبدون هذه الأبحاث لا أكتمل الجامعة كيانها ولا تعتبر جامعة بالمعنى السكامل صحيح . بل إن من رأي قدامين على شئون الجامعات في بريطانيا الآن أن من واجب أن تهيأ ظروف بعد الحرب ليستقر رحل الجامعة نصف وقته على الأقل في إجراء الأبحاث العميه الخاصه ؛ كما أن من رأيهم أن ترفع الدولة إعاناتها لجامعات في خدمة مثل ما كانت تدفعه قبل الحرب ؛ وذلك حتى تيسر ظروف البحث ووسائله من عامة المعامل ودور المعارف وحقوقها وغير ذلك ؛ وإن كان من رأيهم في الوقت نفسه أن تحفظ الجامعات استقلالها التقليدي في البحث ، فلا يكون مسخرة من الدولة لإجراء أبحاث معينه بالذات أو تقديم بحث على بحث كما كانت الحال أثناء الحرب ، وإنما يجب أن تتحرر الجامعة من كل قيد ، ولا يسيطر على رجالها أي مسيطر خارجي فيما يترعون إليه من أبحاث بصرف النظر عن قيمتها بالنسبة للأمة أو الدولة . وحقهم في ذلك قوية ظاهرة ؛ فالجامعة في كل دولة من الدول إن حصرت أبحاثها فيما تكفها به الدولة لقاء ما تدفعه من إعانة جرت على أبحاثها رقابة قومية ضيقة تقضى على ما يجب أن

توافر للعلم والبحث من حرية ، وضرب على سائح تلك الأبحاث أو جانب منها نطق من السيرة التي تقتضها الأمانة المعوية ، ولا بد أن تؤدي ذلك إلى تصديق نطق التبادل الفكري والعلمي بين الأمم ، مما ينتهي حتماً إلى تأخر العلم والبحث العلمي في تلك البلاد جميعاً ، وفي هذا ما يقنن روح العلم ويطلق نوره ويرجع بالإنسانية إلى وراء . . . وسنرى في السنوات القليلة ما ينتهي إليه الصراع بين الروح العلمي الجامعي من جهة والتزعات القومية ظاهرة والخفية من جهة أخرى .

وأما الناحية الثالثة التي تعنى بها الجامعة في أداء رسالتها وأن تكون أداة لإداعة المعارف ونشرها عن طريق التعليم . ومع أن هذه كثيراً ما تكون الماحية الظاهرة من نشاط الجامعة ، فإن فريقاً من الجامعيين المستمسين بجامعتهم يضعونها في المرتبة الثالثة بين أغراض الجامعة ، وإن كانت كثرتها لا تستطيع أن تتصور وجود الجامعة إذا لم يقترن فيها البحث العلمي وتقديم المعرفة بالتعليم ونشر تلك المعرفة ، لا سيما بين شبيب الأمة ، فكلا الغرضين مرتبطان بالآخر ومتداخلان فيه . والجامعة لا تكون جامعة إلا إذا كانت مقررًا لشقافة القومية العليا ، ومركزاً للبحث العلمي الخاص ، وداراً للعلم والتعليم وتخرج العلماء الناشئين والمواطنين صالحين في مختلف مناحي الحياة . وقد انتهت الجامعات إلى ذلك منذ القرن الماضي . فمثل أحد الجامعيين بذلك ما معناه : « إن الجامعة إذا لم تقرر التعليم والبحث كانت كالعنبر الحثي والبركة الراكدة ، يعب الطلاب من سطحها الماء الأسفل مخلفاً بخيوط الغراب والرجم ، فإذا ما جمعت بينهما غدت كالنوع القاذف ، والمورد الحار ، ينزل منه غلاب ماء قراحاً يروى ظمئهم ، ويحلو نفوسهم ، وينقيهم من الطامثين » .

وإذا نحن تتبعنا تاريخ الجامعات البريطانية من الماحية التعليمية وحدانيتها كانت تعنى في القرن الماضي أكثر ما تعنى بتخريج قادة الأمة وحكام الإمبراطورية . فكان يؤمها في الغالب أبناء طبقة معينة تعد نفسها للحكم والإدارة في بريطانيا وما وراء البحار ، وتعتبر التعليم الجامعي وسيلة صالحة بل أداة ضرورية في إعداد الفرد من هذه الماحية . ثم تحولت الجامعات عن ذلك خلال الجيل الأخير إلى ما أصبح يعرف « بالتعليم الجامعي المهني » الذي يعد الطلاب لمهن معينة ، وأصبحت كثرة هؤلاء الطلاب ممن يقصدون إليها لينالوا قسطاً معيناً من

## الحرب والجامعات في بريطانيا

التعليم 'عنى الخاص المتصل بإحدى المهن ، كالمهندسين والأدباء ورجال القانون وغير من المعنيين وغيرهم . ومع أن هذا النوع من التعامل زاد من ارتباط الجامعة بالخدمة العامة ، فإن رجال الجامعة أخذوا يحسون في الفترة الأخيرة أنه أدى إلى نوع متطرف من « التخصص » في التعليم ، وانصرفت جهود الجامعة إلى تخرج المحترفين الذين يخدمون المهن المختلفة ، ولكنهم لا يسألون القدر الكافي من الثقافة الجامعية عامة . والطبيب الجامعي مثلاً قد يكون طبيباً ماهراً ، ولكن انصرافه الشديد للإيمان تعلم مهنته أثناء وجوده في الجامعة ومسئعياً بصرفه عن الإفادة من وجوده في الجامعة لتوسيع ثقافته العامة . واستكمال أسباب تكوينه كوطئ يجب أن يفهم المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن يدرك قيمة مهنته في الحياة العامة . وكذلك الحال في المهندس وغيره ممن يخرجون في الجامعة . وحتى فئة المدرسين قد تبين الآن أن الجامعات في بريطانيا لا تخرج منهم إلا رابع من تخرجهم دور المعنيين التي لا تتصل بالجامعات ، وذلك اعتباراً بقضا تسعى الجامعات إلى تلافيه ، إذ أن من يريد أن يحترف مهنة التعامل هو أن من غيره بالحياة في الوسط الجامعي ، والإفادة منه في تكوينه الثقافي عام إلى جانب إعداده لمهنته الخاصة . كذلك ترى الجامعات أن توسع نطاق عملها في تعليم المهني ، بحيث يشمل جميع من يمدون أنفسهم لمهنة عامة في المجتمع . لا سيما ذات الصلة الاجتماع ، كعمل إدارة الأعمال في شركات والمصانع ، ووظائف الإدارة الإقليمية والبلدية وغير ذلك .

وما للحياة الرائعة والأخيرة التي تتم رسالة الجامعة في الجيل الجديد فترتطة بالحياة الثالثة ، ولسكنها تتناول جانباً خاصاً من التربية والتهذيب يستحق عناية خاصة ، وهو جانب التربية الخلقية ، التي لا يتصد لها هذا الموضوع طاب الجامعي إلى الخلق السكرم والأخلاق العاضلة ، إذ ليس من وظيفة الجامعة تهذيب النفوس بعد أن يصيبها السقم ، وتقوية الخلق بعد أن يعوج ؛ وإن تستطيع الجامعة أن تحل محل البيت والمدرسة ، ولا أن تصاح ما أفسد لا تقدر محدود وفي حدود ضيقة . وليس تحدى كثيراً في دور الشباب أن تنقل الجامعة إلى دار للتهذيب والتهذيب ولوعظ والإرشاد ؛ بل إن ضرر ذلك قد يكون أكثر من نفعه . وليس من الإنصاف أن تكلف الجامعة ما لا تطيق وما لم تنشأ من أجله . لذلك يرى الجامعيون أن يقتصر التهذيب الخلق في



## الحرب والجامعات في بريطانيا

الجامعة على ما تستطيع أن تفعل ، فتعين الطالب على تربيته شخصيته في دور الشباب ، وتحول نشاطه الفائق إلى ما يرمى فيه روح الجماعة ويعوده تحمل المسؤولية وقبول التضحية كمواطن يعيش المجتمع كما يعيش نفسه . ويذهب بعض الجامعيين في بريطانيا إلى أن يفترض فرض الخدمة العسكرية الإلزامية على الطلاب خلال عام قبل تقدمهم لدراسة الجامعة مباشرة ، فهي خير ما يعود الطالب الطاعة ، ويجبلة على حب العمل في الجماعة ومن أجلها ، وإن كانت كثرة رحال الجامعة ترى أن من الممكن تربيته الشخصية وبناء روح الجماعة في الطالب إذا توسعت الجامعات في تكوين جميعات الطلبة من رياضية وجمعية وعلمية ودسمة ، فهي التي تمكن الطلاب من أن يفيدوا إلى بعد حد ما يعرف بالحياة الجامعية في أوسع معانيها . ولا شك أن إعداد الطالب من هذه المواحي المتصلة بالشخصية وتحمل المسؤولية وإدراك الحق والواجب في وضعهما الصحيح ، كل ذلك مما يعين الطالب بعد تخرجه على أن يصبح مواطناً صالحاً مهما كانت مهنته في المجتمع طالماً أو طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو غير ذلك .

تلك أهميات المسائل التي يفكر الجامعيون في نفايوت فيها أثناء الحرب . وهي مسائل تتناول رسالة الجامعة من أساسها ، ورسم الخطة لتحول حضير في الفكر والحياة العقلية ، وفي علاقة العلم والنعام بالحياة العامة والشؤون العامة . وقد يبدو غريباً أول الأمر كيف اشغل لقوم أنفسهم مثل هذه المسائل في حين كان المستظر أن تشغاهم الحرب وأن تلهيهم عن كل شيء ، وفي حين يسدو التعلم الجامعي والثقافة الجامعية في أيام الحرب لونا من لوان الحرب العقلية دونه أمور كثيرة أشد خطراً في حياة الأمة بحرية . ولكن العصر الحداث لم يعد يحتمل أن تشغله فيه مشاكل اليوم مهما اشددت على التفكير في الغد وشئونه . والجامعة إن أرادت أن تقوم لأمة في الفكر والثقافة يجب أن تكون أول من يستشعر تغير الزمن ، وأول من يستعد للمستقبل ، وهي في المجتمعات الصالحة للبقاء قد حاولت أن تفعل ذلك . -

وبعد ، فقد يكون فيما ذكرت ما يثير تفكير عما نحن بسايله في مصر . فليس من شك في أننا ساهمنا في الحرب ، وفي أن مجتمعا المصري سيتأثر بها في مستقبله

## الحرب والجامعات في بريطانيا

نفرس إلى حد لا يقل عن تأثر غيرها من الشعوب . وليس من شك أيضاً في أن الجامعة أو جامعت قد تصدت ، أو كان يجب أن تصدى ، لزعماء الفكر ومهنة العمالية والثقافية ، بل النهضة العامة ، في بلادنا وفي جانب من بلاد الشرق . . . فهل أيقظت الحرب فينا ، أو هل يبعث انقضاؤها وإقبال السلم ، بعض هذا الوعي ، ولو في فئة من بينهم شئون الجامعات في مصر ؟ .

سليمان هزيم

أَنْتِ كَالنَّاسِ !

حَفَّ غَدْرٌ وَصَوَّحَ رَهْرُ  
هَلْ لَاسِكْرٌ وَلَا رَوْحُ  
لَمْ يَسُقْ إِلَّا لِفَكْرٍ وَالشَّعْرُ  
وَاسَى أَرْقُ حَدِيثَهَا جُرْحُ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

لَمْ يَبْقُ إِلَّا لَوْنَةُ الذِّكْرِ  
وَحَطَامُ آمَالٍ وَأَحْلَامِ  
وَمَنَاسِرُ وَغَالِبُ حَيْرِي  
بَيْنَ الرَّجَاءِ وَقَلْبِي الدَّامِي<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وخيالك النشوان بالإنهم  
تنصاحك الأقدار في فيهم  
سكرى بما أهرقت من وهمي  
وحطمت من كأس أفديهم

(١) الأسى : جمع أسوة ما يتأسى به المرء — (٢) المناسر : جمع منسر متقار الطائر الجارح

\* \* \*

ومثالك المرسوم في خَلدي  
خزيانَ يُرْعَشُ من مهاويكِ  
يا وبحة ! أفنيتُ فيه يدي -  
ومحاه رجسٌ من أياديكِ

\* \* \*

سويته روحاً أقدسهُ  
وزاه رَجْعَ قرارها نقي  
أشتاقه وأهابُ ألمهُ  
وأريده فيخونني رحى

\* \* \*

أسدلتُ في محرابه الحُجُبَا  
وسما به ما شاء حرمانِي  
وعشقتُ خلفُ سُتوره الغيبَا  
ولحتُ عند علاه سلطانِي

\* \* \*

قد قلتُ حين طلعتُ في أفقِي  
بمضاء يغمرُ نوركِ الأفقَا  
قد غاب ليلُ الشجو عن طرُقِي  
وبدا الصباح يضاحك الطرُقَا

\*\*\*

أَلْبَيْتُ حُرَّانِي إِلَى أُمِّي  
وَرَهَا دُولَ سَمِهِ مَي  
وَنَسِيتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَقْسِي  
وَهَجَرْتُ آلَامِي إِلَى الْحُبِّ

\*\*\*

وَهَجَرْتُ آلَامِي إِلَى الْمَقْرِ  
يَنْفِي الْهَمُومَ وَيَنْفُحُ بِشْرَا  
بَاكِرْتُهُ بِجَنَاحِ مُنْطَلَقِ  
وَرَفَعْتُ فِيهِ لِلْهَوَى قَصْرَا

\*\*\*

قَصْرُ شَارِفِ سَاحَةِ لَيْلِمُ  
سِحْرُ كُلِّ مَسُونَةٍ سِرِ  
إِنْ سَكَى نَهَامِ السَّعَةِ  
وَيَمُوجُ فِيهِ الْمَجْرُ إِنْ سَرِرِ

\*\*\*

تَتَخَطَّرِينَ وَثُوبُكَ التَّيْبَرِي  
بَادِي الْهَيْامِ بِسَاقِكَ الْمَاجِي  
أَلْوَانُهُ إِشْرَاقَةُ الْفَجْرِ  
وَحَفِيفُهُ خَفَقَاتُ أَمْوَاجِ



\* \* \*

نمري أهدري مستحبة  
تتفق بك روح مشتاق  
سأسألهم رديف حبه  
ولديهم حديث عشاق

\* \* \*

وعلى الضفاف مدله صادي  
يابني الورود لغير سقياك  
شفتاك أشهى خمرة الوادي  
ونميره الرقراق نجواك

\* \* \*

أهفو لصوت جارك الداعي  
وهاب صمت جلالك السامي  
فلذا أجبت نداء أطلعي  
درعش الأستار قداعي

\* \* \*

وللت فالتعت بك الدنيا  
لمع الشعاع تسوقه الظلم  
فجر كذوب النور لا يحيا  
ومعينه الديجور والمدم

أنت كالناس

\*\*\*

تُمنُّ أنت ؟ ما أنت التي كُمنَّحتُ  
كأبي الرمادِ تألَّقَ المساسُ  
من أنت ؟ إنَّ الحُجبَ قد رُفِعتُ  
واحسرتنا ! أفأنتِ كالنَّاسِ ؟

\*\*\*

ملَّيتُ منكِ العينَ والسُّنما  
وسَلَوْتُ عَشَقَ الغيِّبِ والسَّمرِ  
فإذا الرُّواءُ غِلالةُ الأَفقى  
وإذا الصِّفاءُ رَبيضةُ الشَّمرِ

\*\*\*

شفتاك لا ماءً ولا حَمْرُ  
أَسْطُورَتِ رَوايَا وَهْمِي  
ونَظْمُكَ لا عَاجُ ولا تَمرُ  
ويح الخيالُ ! ونَعْدُ ما يرى

\*\*\*

طالبتُ منه مصرعَ النُّسرِ  
وشهدتُ فتكَ الرُّجسِ بالقُدسِ  
فضمَّنتُ أحزاني إلى صَدْرِي  
ورَجَّعتُ مغلوباً إلى نَفْسِي

عبر الفاروق القط

## بول فاليري

يسميه الفرنسيون شاعر العقل ، ونستطيع أن نسميه عقل الشعر ؛ فهذان الوصفان يصورانّه أصدق تصوير ، وكلا الوصفين يطابق صاحبه مطابقة دقيقة صادقة. والواقع أن حياة بول فاليري قد كانت سباقاً بينه وبين الأدب ، يفر هو من الأدب ما وجد إلى الفرار سبيلاً ، وبجدّ الأدب في طلبه ما وجد إلى الجد في طلبه سبيلاً . وقد يضطر هذان المتسابقان إلى أن يلتقيا ، فإذا كان بينهما اللقاء بدأ بينهما حب عنيف ووصل شديد القسوة قوامه الصراع المتصل ، ثم ينكشف هذا الجهاد عن ثمر من الآثار لا يستطيع الإنسان أن يقول أي المصطرعين قد غلب صاحبه غلبه ، هو الأدب الذي قهر بول فاليري ، كرهه حتى أن يخرج للفرنسيين أروع ما عرفوا من الشعر وبرع ما قرءوا من الشعر ، أم هو بول فاليري الذي قهر الأدب واضطره إلى أن يدع السلطان للعقل ويحضع لأصوله الدقيقة ومناهجه الصارمة ، ويخرج لفرنسيين حكمة مشرفة وفلسفة مضيئة قوامها الخير في أبدع صوره ، والحق في أكرم مظاهره ، والجمال كما يكون اجمال . وقد يظن القارئ أني أذهب بهذا الحديث مذهب التمثيل والمجاز المقارب والمباعد والافتتان في التعبير ، ولكن الواقع من حياة بول فاليري ومن جهده العقلي والأدبي يطبق هذه الصورة التي عرضتها عليك أدق المطابقة وأصدقها . فقد ولد بول فاليري سنة ١٦٧١ في مدينة ست وبش فيها وبدأ فيها درسه ، حتى إذا بلغ الرابعة عشرة انتقل إلى مونبلييه ليتم فيها درسه الثانوي . وكان أثناء هذا الدرس مرددياً لنظام الدراسة ، معرضاً عن درس المعادن ، باقداً لأساتذته ، ساحراً بما يقولون ، مؤثراً الاعتماد على نفسه في تحصيل ما محتاج إليه أو ما يعيل إليه من العلم . وكان طموحاً إلى العمل في الأسطول صابطاً بحرياً ، ولكنه لم يطر من العلوم الرياضية بما كان في حاجه إليه ليدخل المدرسة البحرية . ولذلك أعرض عن البحر وعن الأسطول وعن الرياضة واكتفى بدراسة الحقوق . ثم كانت الخدمة العسكرية حين أتم التاسعة عشرة من عمره في مدينة مونبلييه أيضاً . وفي

هذا الوقت عرف شابين فرس من كان كل حظ من المجر عظيم: أحدهما بيير لويس،  
والآخر أندريه جيد. ولما فرغ من الخدمة العسكرية، وكان قد قرض شيئاً  
من الشعر، لم تعجبه الحياة الأدبية. مقرر الانصراف عنها وتفرغ للحياة العقلية  
الحلقة، وأثقف في هذه الحياة العملية المألوفة عموماً. وأكبر الشئ أنه أخذ  
يقراء آثار الفلاسفة القدماء والمحدثين، وبمكر فيما يقرأ نقداً محذراً مستنبطاً  
وأكبر الشئ أن السباق بينه وبين الأدب قد بدأ في ذلك الوقت؛ فهو كان قرض  
شيئاً من الشعر وشرد في بعض المجلات وقصر شئ من الاعجاب، ولكنه  
عرض عن الشعر وفرغ من الفلسفة، وبدأ حياته العملية في مرابها من الأدب تثير  
في نفسه خواطر لا يجد بداً من تسجيلها، ولو استطاع لما سجلها ولا حفل بها.  
ولكن هذه الخواطر تلح عليه وتلح، وتضطره إلى أن يقف عندها ويطلق  
وقوف، ثم يل أن يسجلها فيحسن تسجيل، وهو يكتب آتية رائعة  
«مسيو تست». ومسيو تست هذا ليس إلا بول فاليري في هذا اللون من حياته،  
حين شغف بالعقل وآثر أن يحارب به ويقف عليه من أكبر شيء، وحرر به  
ما رأى من حياة العقل فيما بينه وبين نفسه أولاً، وفيما بينه وبين العالم  
الخارجية ثانياً. وقد اضطره هذا الشغل الرائع الذي استكناهه حين كان بين  
نفسه إلى حياة داخلية قوية شدة القوة، لأن صاح هذا شعير، فهو قد استكشف  
في ضميره عتقاً شديداً وأعظم روعة وأكثر دقة وتنوعاً من علم الخرجي  
الذي أمش فيه، فصح عبارة كبرى، وأكبرها لهذا العلم الدامي، ومن مع  
نفسه أكثر وقته، ولم يصبح العلم الخرجي ياتقن إليه إلا وسيلة تامة  
الداعي منها من أعمه سره، وهو ناشئ، فهو شاعر، بل وكاتب  
لآراء، ويحدث أنهم وكأته لا يسمعون لأنه مشغول بهذا العالم الرائع الذي  
الذي مثلاً نفسه من جميع أقدارها، حياته في العالم الخرجي شغل شاق، ولكنه  
ولكنه يفتح هذا العلم الخرجي في بعض الأوقات، يدره من نفسه، إذ  
هو يراه بهاماً ويتفكر فيه كمن يتفكر في مرسوم، ثم لا، بل أن  
ينصرف عنه إلى عمله الخاص وكأته لم يرد ولم يدم به.

والله هو أن بول فاليري الذي مر من الأدب إلى الفلسفة لم يستطع أن  
يفلت من الأدب، وإنما أدركه الأدب، وكان يهبط هذا الجهاد الذي انتهى  
بإنشاء هذا الكتاب الذي سينشأ دائماً وخصماً دائماً وحافلاً بما يملأ النفس

انه لو دفع عقل إلى التفكير المتصل الذي لا يضيع في غير نفع ولا يذهب في غير غناء.

[illegible][illegible]

مالرميه وترك وزارة الحرب والتحق بشركة هافاس البرقية واتخذ له روحاً، وأمن في الانصراف عن الأدب، وخيّل إلى نفسه وإلى الناس أن قد قطعت الصلة بينه وبين حصمه هذا العنيد إلى آخر الدهر . ويقول الذين يعرفونه والذين تتبعوا حياته في الأعوام الأولى من هذا القرن إنه مضى في حياته العقيدة الفلسفية، وإيه تعمق الرياضة التي استعصت عليه في أيام الشباب الأولى ، ولكنه قد نشر في بعض المجلات وأرسل إلى بعض الأصدقاء مقطوعات من الشعر أحبوها ورصوا عنها . وقد قبل أندريه جيد ذات يوم على صديقه بول فاليري سنة ١٩١١ حين بلغ الأربعين من عمره يطلب إليه الإذن في أن يجمع ما تفرق من شعره لينشره في المجموعة التي كانت تنشرها المجلة الفرنسية الجديدة . وقد امتنع بول فاليري على صديقه امتناعاً شديداً ، ولكن أندريه جيد نجح إلحاحاً شديداً أيضاً، واستهى الأمر إلى أن قبل فاليري إعادة النظر في شعره ذاك .

وقد استأنف النظر في هذا الشعر، فلم ينفق في ذلك أياماً ولا أسابيع ولا أشهراً، وإنما أفق فيه خمسة أعوام أو أكثر من ذلك قليلاً . ففي سنة ١٩١٧ فوجيء الناس بظهور الديوان الأول لهذا الشاعر الممتنع عن الشعر ولهذا الأديب المتبني على الأدب . وكان بول فاليري قد قارب الخمسين من عمره . وليس من شك في أن ديوانه الأول ثم ما تبعه من الشعر والنثر بعد ذلك قد جنى المتأديين حفاة قوبة رائعة ، وإذا بول فاليري يحتل مكانه بين الأدباء والشعراء والمفكرين ، كما كان هذا المكان الممتاز قد هيء له من قبل فهو ينتظره منذ وقت طويل . ومنذ ذلك الوقت شغلت الميثاق والمجلات الأدبية والصحف السيارة بأدب بول فاليري أكثر مما شغلت بأي إنتاج أدبي آخر . ثم أخذ نجمه يتألق في الأفق حتى ملاءه نوراً ، وإذا هو يتجاوز حدود فرنسا إلى أقطار الأرض كلها، وإذا هو أديب عالمي في أقل من عشر سنين منذ نشر ديوانه الأول ، وإذا هو عصب في التجمع اللغوي الفرنسي في سنة ١٩٢٧ يشغل كرسي أناتول فرانس ويلقي خطبته الرائعة التي لم يفرغ الناس من الحديث عنها بعد والتي لم يدافع أحد عن أناتول فرانس كما دافع عنه فيها . وقد أنشأت عصبة الأمم مجلس التعاون العسكري ، وأنشأ هذا المجلس لجنة القنون والآداب ، وأصبح بول فاليري رئيساً لهذه اللجنة بل أصبح عقلها المفكر وقلبها النابض . ثم أنشئ معهد المحر الأبيض المتوسط في نيس وأصبح بول فاليري رئيساً له ، ثم أنشئ في السكوليج دي فرانس كرسي للشعر وأصبح



بول فاليري صاحب هذا الكرسي، وهو قد عين أستاذاً بعد أن نيف ثلثي الستين. وكنتك أضج ول فاليري حامل لواء الأدب والشعر في فرنسا وعمماً من أعلام الثقافة علياً في قطار الأرض كلها، واتصل بكل شيء وشارك في كل شيء، حتى كان يقول إنه أصبح رئيساً لهيئات ومؤسسات لا يكاد يخصصها، وإنه كثيراً ما يدعو نفسه بكتاب منه إليه ليشهد هذا الاجتماع أو ذاك لهذه الهيئة أو تلك.

فيذا امتازت الحياة الأدبية لبول فاليري بشيء في ظاهر الأمر فانما تمتاز بامتاع صاحبها على الأدب شدة الامتاع وإيثاره للعزلة حتى جاوز الأربعين، ثم ستجائته بعد ذلك للأدب كارهاً، واندفاعه في هذه الاستجابة حتى عوض ما فات واسترد ما كان حليقاً أن يكسبه من المجد والشهرة في عزلته الطويلة. وكسب في وقت قليل ما ينفق فيه غيره الأعوام الطوال والأعوام الطوال ليكسب بعضه. فقد نهر بول فاليري فجأة في السابعة أو الثامنة والأربعين من عمره، ولم يبلغ الستين حتى كان قد ملأ الدنيا وشغل الناس، كما كان يقال في المثني منذ ألف عام. فلما توفى وقد نيف ثلثي السبعين كانت الفاجعة بموته خطباً شاملاً للعالم المثقف كله لا محنة مقصورة على فرنسا وطنه.

وما زالت هناك مسألة غامضة سيكشفها التاريخ الأدبي في وقت قريب أو بعيد، وهي مسألة عظيمة الحذر فهل كان بول فاليري أثناء عزلته الطويلة يتهيأ عن عمد لهذا المجد الأدبي الذي فاجأ به الناس، أم هل كان صادقاً كل الصدق مخلياً كل الإخلاص في إعراضه عن الأدب وامتناعه عنه حتى فاجأه المجد كما فاجأ الناس، ومهما يكن من شيء فإن الحقيقة أواقعه التي نستطيع أن نسجلها مطمئنين هي أن بول فاليري قد آثر الأناة والاحتياط والحذر، وأبغض الشهرة والمجد والمنها السكين عليها، وقدر فخر على أنه غاية لا وسيلة، بل على أنه الغاية العليا التي يطمح إليها الإنسان حين يبلغ أقصى ما يستطيع أن يبلغ من الامتياز من الثقافة والمعرفة. فهو لم يبغي شيئاً كما نغض السهولة، ولم يزد شيئاً كما ازدرى الإسراع إلى الإنتاج والإسراع في الانتاج والاستجابة لهذه الدواعي الكثيرة التي تدعو إلى الانتاج وتدفع إليه دفعا في كثير من الأحيان. وليس بالشيء القليل أن يمتنع الفرد على عصره، ويلتزم عزلته، ويزدرى هذه المغريات الهائلة التي كان الناس يستحبهون لها من حوله، بل يسمون إليها سعيًا ويلجئون في التماسها

إلحاحاً، ويتغنون الربا من الوسائل ما عقل وما لا عقل. وهذان تصور الخدعة التي  
يتقاربان، بول فاليري في حيد الحقيقة. وهو حقه - كما مرة التي تمنح صاحبها  
مزايا من المواضيع و كبرياء، وتمنحه مواضيع نفيس إلى المثل العليا. ويحتاج  
إليه من - كما، الحماة العنيف واحتمال عدم الشاق ولا يلح في سعي المتصل  
وتمنحه الكبرياء التي رفعه عن الصغر وترهه عن البت ورضه عن الأشياء  
التي يقرب تناو لها، وتنحرف به عن الغايات التي يسهل الوصول إليها. ثم يؤلف  
له من هاتين الخصلتين هذا المزاج المعتدل الرفيع الذي نلحه له من هذه  
الارستقراطية العقلية، وإذا هو يسعى إلى مُثُل أعلى من هذه ما يسعى إلى  
غير راض بما يبلغ منها مهما يكن ما يبلغه، متدأ في سعيه إلى بعد الطرق  
وأشدها عسراً وأكثرها عقاباً، واجداً لذته في سعيه هذا. وعمر وقهر هذه  
العقاب والتغلب على هذه المصاعب، متكرراً هذه العقاب والمصاعب إن أحس  
أن الطريق قد سهلت له واستندت أمامه وقد بدت حريته أن يفتح به عييه في  
جهده معتدل وسعي يسير.

وهذه الخدعة لم تؤثر في حريته الفكرية وحدها، وإنما أثرت في حياته المادية  
أيضاً، فهو لم يلاحس ثروة ولا سعى هذا النوع هذا الرب وذلك من ما رُب  
الحياة. ولم تدركه الشهرة لم يبلغها ولم تستمرها ولم يتخذ أدبه وسيلة إلى  
فتنة قراء ورضا الجور وتحقيق نراه لعرشه، وتمتد من مرددات مرة معرضاً  
عن الجهد، يشجر عن رغبته ويرقى إلى كره منه ولا يبالغ من ذلك نراه ولا رضاء.  
وقد كانت عتواً في التجمع الغوي منذ عشر سنين حين نسي له كرسيه في  
الكوليج دي فرانس، فهو لم يسع إلى الكوليج دي فرانس وإنما هي التي  
سعت إليه، ولم يطلب التجمع الغوي وإنما هو الذي سعى إليه. ولقد شهدته في  
بعض التجمعات الأدبية وقد نهض بعض الحاضرين يذكر الأدباء الذين بلغوا من  
المجد ما بلغوا ويمررت لهم الحيرة من رأيي شيء من الدعة، ولأموال بين ذلك  
وبين حرصهم على إرضاء الفن والروض محقه. وكان بول فاليري أحسن في حايث  
هذا المتحدث تلميحاً إليه. وتعبيراً به، فقال هذه الجملة التي أن نساها، في  
ذلك الصوت الذي لن أنساه: « نعم بعد أن كادوا يموتون جوعاً ».

وقد عرفت بول فاليري من بعيد حين نجا الناس بدبه الرفيع في أعقاب  
الحرب الماسية، فاعجبت به كما كان يعجب به الناس عجائباً يقوم على التقليد أكثر

مما يترتب من الدراية الصحيحة . ثم أقبلت على تأليفها المرة والمرة والمرة ،  
وذلك بحبه عن فهم له . ولكن أي فهم ! فهم ليس بالقريب ولا بالمقارب  
ولا باليسير ، وإنما هو نتيجة الجهد المتكرر وقراءة المرددة وتفكير المتصل ،  
ثم هو بعد ذلك ليس راضياً عن نفسه ولا مطمئناً إلى ما وصل إليه . والذين  
يعرفون آثار بول فاليري سواء أكانت شعراً أم نثراً يفتنون في أن اللغة التي  
يكتبونها هي لغة . ذلك لأن في من فهمه واستيعابه ، وإما تأتي من محاولة  
فهمه سواء نجحت أو لم تنجح ، ثم تأتي مع ذلك من هذه اللغة الصافية  
الغنية مستغلة في تجميع بين الرقة والرضانة وبين السعومة والجزالة ، والتي تحيل  
إليك ثباتها واصلها كل الوضوح ، وهي كذلك وضيحة كل الوضوح ولكنها  
في ذلك مديعة بالأسرار . لا تقرأها مرة إلا حصلت من قراءتها علماً ولذة  
لغتك وذوقك وشعورك جميعاً . وقد أتيحت لبول فاليري أشياء لم تتح  
لكثير غيره من الكتاب والسعراء . فقد كان كشافاً ، القديم المتنبئ يستطيع  
أن ينشد :

أحمدك ، يا رب ، على ما وردك ، ودمي الخالق حرّاً لها ويختصم

وقد نشأت في تلك هذه الموضع عن اختلاف العلماء والأدباء من الفرنسيين  
والألمانيين وغيرهم ، وقد كان في ذلك عهداً من عهودهم ، وقد شهد بول فاليري  
من سبدهم ، ووجد في ذلك دروسه ، يراها للطلاب ، وقد شهد بول فاليري  
من هذا الروس ، ووجد في استاذ بعد ذلك دروسه في كتاب قدمه له بول فاليري  
تقدمه من طرف ودية ، ولكن الذين يقرءون هذه المقدمة يخرجون من  
قراءتها ، ويقولون أن الشاعر قد رضى عن شارحه الاستاذ كل الرضا .

وليس شرط بول فاليري أن يشرح إلى مدير الرواية ومراجعة القراءة من  
شعره ، وليس هو في ذلك عالماً ، بل هو في ذلك حبيب من شعره أيضاً .  
ومع ذلك فقد كان بول فاليري نفسه يرى أن النشر يقتصر حياة من الشعر ، لأن  
منه ليس على الأفهام من الشعر ، وإذا فهمت نصاً فقد قتلتها . ولست أدري  
صحيح هذا أم غير صحيح ، ولكنني واثق بأن الحيل المعاصر لبول فاليري لم يقبل  
شره كما أنه لم يقبل شعره . ولكنني أشارك المقد المعاصرين من أهل فرنسا في أن  
الجيل المقبلة لن تستطيع أن تقبل شعره أو شره ، ولكنني مطمئن كما طمأن

البقاد المعاصرون في فرنسا إلى أن بول فاليري لم يمت وإنما ذهب شخصه المادي ،  
فأما شخصه المعنوي فخالده فيما ترك من شعر ونثر .

وقد تحدث بول فاليري نفسه عن «ديكارت» فأنبأ الذين كانوا يسمعون له في  
السوربون أن غشاء الرجال من أهل الثقافة خاصة إنما تنمو شخصياتهم وتقوى  
بعد أن يموتوا وبعد أن يمضي ثلثي موتهم وقت طويين وقصير . وكأنهم كان  
يتحدث عن نفسه ؛ فشعره ونثره ودبه كله سيقدم إلى الأجيال هذا الغذاء الرقيق ؛  
وسيحييا في هذه الأجيال حياة متصلة ، وستكون هذه الحياة مؤتلفة ومخلصة  
معا . مؤتلفة في هذه الكتب والدواوين التي تركها للإنسانية نائما . ومختلفة  
في نفوس الذين سيقرونها ويسبقونها ويمثلونها ويكونون لأنفسهم صورة ما  
لصاحبها تلاميذ ما يستطيعون من التصور والتصوير جميعا .

ولم يكن بول فاليري كغيره من الأدباء ينظم لشعر ويكتب النثر في  
هذه الموضوعات التي يتكلفها الكتاب والشعراء قصصا وتميلا ودراسات ،  
ولكنه كان صاحب تعمق لأشياء مختلفة ، لا نكاد نتفق إلا في أنها كلها تنصل  
بالفن المترف الجميل من جهة ، وبالعقل الناقد المستقيم من جهة أخرى .

فهو يكتب في العمارة ، ويكتب في الرقص ، ويكتب في النفس ، ويكتب في  
العقل ، ويكتب في التصوير والنحت والرسم والموسيقى والغناء . ثم هو يكتب  
في نقد الأدباء والفلاسفة والمثاليين والمصورين . وما أعرف أن أحدا قرَّب إلى  
القراء ديكارت أوليونا ردي فسي أوستيدال ومونتسكيو ولا فونتين كما  
يقرَّبهم بول فاليري . وما أعرف أن أحدا حلل الفنون الرفيعة كما يحللها بول فاليري  
وما أعرف أن أديبا أو فيلسوفا حلل عمل العقل الإنساني وهو يفكر ويلاحظ  
ويتأمل ويستمتع ويمكف على نفسه كما حلله بول فاليري .

وقد قلت في أول هذا الحديث أن بول فاليري قد تأثر أشد التأثر بمحوار  
سقراط كما نقله أفلاطون . وما أشك في أن بول فاليري كان من أشد الناس شغلا  
للفتين القديمتين ، وعالما بأسرارها وتذوقا لخصائصهما . وقد كان يقول في شيء  
من السخرية إن الذين يزعمون أنهم يحسنون اللاتينية أو اليونانية في هذه  
الأيام يخدعون أنفسهم ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يستعينوا على قطع الوقت في  
القطار بقراءة توسيديد أو تاسيت . ولن يحسن الإنسان لغة إلا إذا قرأها في  
غير مشقة وفهمها في غير جهد ، وذاقها في غير عناء . ولكن بول فاليري لم

يثبت قدم اليونان والرومان كما أثر به غيره من المثقفين الممتازين لحسب ،  
وعند مثل الأدب اليوناني الرفيع وبعدسة اليونانية العليا مثلًا غريباً رائعاً حقاً  
حتى استطاع أن يحدث أثراً من الحوار يُنطق فيها سقراط وبعض تلاميذه  
بملاحظات في امر وفي الجمال، منها ما يتصل بالعارة، ومنها ما يتصل بالنفس، ومنها  
ما يتصل بالرقص، ما كانت لتخطر لسقراط وأصحابه على بال. وأحسب أنها لو  
نقلت إلى اليونانية الأنثوية التي كان يصطنعها سقراط وتلاميذه، لما كانت  
قل روعة وجمالاً من يونانية فلاطون، ولما كانت قل روعة وجمالاً في تلك  
ليونانية منها في هذه اللغة الفرنسية الرصينة المثينة الرقيقة العذبة التي اصطنعها  
بول فاليري في القرن العشرين. ثم هي تزيد على ذلك أن فيها معاني وخواطر  
وآراء لم يكن سقراط وتلاميذه ليسيفوها لأن بينهم وبينها خمسة وعشرون قرناً  
تطور فيها العقل الانساني وراد محصوله من العلم والمعرفة، وأتاح ذلك كله  
لبول فاليري ما لم تتحه الحضارة اليونانية لسقراط وأفلاطون

ومهما تقرأ من شعر بول فاليري وثمة، ومهما يكس المتصويع الذي يمارسه  
الأديب شعراً أو ثراً، فسترى دائماً أدب اليونان الرفيع وتفاوتهم لعليا شائعين  
فيما تقرأ يغذوا به بخير ما فيهما؛ لأن بول فاليري قد خاط اليونان القدماء بخاطلة  
نادرة شديدة التنوع: خالطهم في أدبهم وفي فلسفتهم وفي فنهم وفي سياستهم،  
وخالطهم في دينهم بنوع خاص، ثم خالطهم بعد ذلك في حياتهم العاملة التي كانوا  
يحيونها في ساعات النهار والليل.

ثم هو قد أضاف إلى هذه الثقافة القديمة خير ما أنتجت ثقافة العصر الحديث،  
فتمثل عصر النهضة في إيطاليا وفرنسا على اختلاف مظاهر النهضة فيه، ثم يمثل  
القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا كلها، لم يترك ظاهرة من  
ظواهر الحياة العقلية إلا اتقنها علماً وفهماً وتأويلاً وتحليلاً. وعنى بالعلم عامة  
خاصة، فتمتدق العلوم التجريبية، وتعمق الرياضة حتى استطاع أن يتحدث عن هذه  
العلوم كأحسن ما يتحدث عنها أصحابها، وأن يجادل الأطباء والعلماء ويصحح لهم  
آراءهم حين كانوا يشاركون في وضع المصطلحات العلمية للمعجم الفرنسي الذي  
يصدره المجمع اللغوي.

ثم هو قد تمتدق مذاهب الفلسفة منذ فلسف اليونان قبل سقراط إلى أن فرغ  
برجسون من إقامة مذهبه الفلسفي الأخير. وهو من أجل ذلك يحاور في الفلسفة

كان حسن ما يحاور فيها الفلاسفة. ولعله يتمثلها خيراً مما تمثلها الفلاسفة؛ لأنه جمع إلى غنائه ما قد سمر قلباً ذكياً وإحساساً مرهفاً وشعوراً رقيقاً حدّاً وذوقاً دقيقاً لا يفوته شيء.

وقد انتهى إلى رأى في فلسفة وشعر، أو فن به ابتدأ برأى في الفلسفة والشعر لم يتحول عنه منذ الشباب حين كتب عن ليه بارد دي قيسى في أواخر القرن الماضي إلى الشيخوخة حين تحدث عن ديكارت في أسبوريث سنة ١٩٣٧ وهذا الرأى يكرر اختصاره في هذه السلسلة التي لا توجد إلا بديّة مقارنة، وهو أن الفلسفة والشعر إنما يسميران في قلبه لأمر عن مشكلة واحدة في صلبها، وهو هذان: كيف أن نربط الإنسان من الحواسن والفصيلة الواقعة في عالم آخر أرق منها، يفسرها وعرضها في شيء سرّ قس من الروعة يسمو بها إلى هذا الكمال الذي يطمح إليه الإنسان الممتاز. فالفيلسوف شاعر يعرض شعره نراً في أكثر الأحيان، وشاعر فيلسوف يمرض فلسفته شعرًا دنيًا.

وقد كان بول فاليري نفسه هو الصورة الكاملة للفيلسوف الشاعر أو الشاعر الفيلسوف. ومن أجل ذلك لم يخطئ معاصروه حين سموه شاعر العقل، ولم أبعد أنا حين سمعته عن شعر في أول هذه المحادثات.

فأتاني عرفت بول فاليري من بعيد حين خاف مجده الناس في أعتاب الحرب الأولى، وسنت معرفتي له تتقدم شيئاً فشيئاً حتى أصبح أحب المعاصرين من أدباء فرنسا إلى وآثرهم عندي، وحتى أصبح الوقت الذي أنقته مع كتبه ودواوينه حين يسمح لي بالعمل به في مكتبتي ومكتبها باللذة الفنية العليا غير الأوقات التي وكرمها لي، وحتى أصبحت ألتفتي منه صورة غريبة رائعة فيها كثير جدًّا من المواقف وكثير جدًّا من الكبرياء، وفيها كثير جدًّا من السماحة وكثير جدًّا من الالام. إذ. وقد هممت أن أعرفه لقراء العربية فتحدثت عنه في الرسالة غير مرة، وحدثت عنه في جمهور المثقفين

وغير محاضرة، وترجمت في الرسالة شيئاً من كتابه عن تفسير الرقص، ولكنني لم أجده لهذا كله في نفوس المثقفين شرقيين إلا صدى ضئيلاً وكثرت نفسي به. ثم تبسح لي أن ألقاه سنة ١٩٣٧ وهذا الصورة التي رسمتها لنفسى منه صادقة كل الصدق لولا أنه في تلك السنة لم يكن من الصحة واعتدال الجراح بحيث كان يجب، وقد كان في فصل الصيف من تلك السنة يعالج أسنانه فيما يظهر



وكان حديثه عن شدة اعمر، وكان لاستماع له شافق وانفجرت عنه شدة مشقة.  
وذكر في حديثه شدة له من شدة من ذكورت في اسوربون، وبذات حديثاً  
في قديم لا يصرح بذلك في المذبح الذي كان يتحدث فيه، فطفر بتمكان ومف  
و شدة شدة من أولي آخره في كد فيهم عنه شيئاً وسالت مع  
من استمع له معي من الأساذة وبدأت مثي لم يكادوا يفهمون عنه شيئاً.  
سكتا جميعاً، ثم معجس بهما صوت الهادي، فغوى الحار الذي كان ملاً  
لمرح حياً وحياً وإيماناً. ثم قرأ الحديث بعد ذلك فإذا هو آية من  
آيات البيان.

في سبب بول فاليري بعد ذلك لقاء منتظر في مجلس التعاون العسكري  
مع كان هذا المجلس يعقد من مؤتمرات، وفيها كانت هذه المؤتمرات تستب  
من احداث حصة، فإذا رُق الدرس ماشية وأحلامه شتات وعديده حديث  
وشدة سحرية، ولكنها اسحرية حتى تروق وتروع ولا تؤذى ولا تسوء. وه  
من يكره الدماء الحوية حتى لا تحو من مكر ودشء. وذكر أنه كان يرأس  
المؤتمرات من مؤتمرات يوم افتتاحه، ولم يكن ليحطاه جميعاً في الكلام ومرع  
باله من قلوبهم وحده اوقت الذي كان يشب أن يسكنه هو فيه وصفت إليه  
أن وضع له صوت وانشرت إليه الأعلى، قال في صوت هادي باسم:  
الكلمة الآن للرئيس إدوار هريو.

ولم يكن إدوار هريو من المتكلمين في هذا المجلس، ولكنه بول فاليري  
كان من السراة تسعين وأن يداع هريو وبورصة في حديث مرتحن من هذه  
الاحاديث التي يتقنها هريو أشد الاتقان.

وكان آخر حائل له في السياسة جيب حين احسمه مجلس التعاون  
أكرى في يوليو سنة ١٩٣٥ قبل إعلان الحرب. وأذن حو جيب في ذلك  
منه كذا، وكان تساء المجلس جميعاً مستعين من الحرب وهزاهاء  
من رزان في شدة شدة، وأعلمهم أكشاً وكثرة شؤماً. وبح  
سيرة جدك أحب بول فاليري، ولم يكن الجيد جدك كرها بول فاليري  
لم يستأس أحد من حمة الإنسان وضعفه وحنونه كما استأس بول فاليري.  
من أجل ذلك كان في تلك الاجتماعات لا يتحدث عن شيء ينتظر في المستقبل  
لا يحفظ واحتياط كما نتحفظ نحن ونحيط فنقول إن شاء الله. ولكنه هو

كان يتحفظ ويحتاط فيقول إن تيسر للحضارة أن تنق ، وإن كتب للحرية أن  
تسلم ، أو إن عصم الانسان من الجنون ، أو ما يشبه هذه امبارات .  
وقد كتب علي بول فاليري أن يرى تحقيق كل ما تنبأ به ، فقد تنبأ بالحرب  
وأهوالها ، وتنبأ بما ستلقاه أوروبا من ذل ، وتنبأ بما ستعرض له المثل العليا من  
ضعة وانحطاط ، وقد رأى هذا كله وذاق مرارته صابراً جلدأ شجاعاً . واحتفظ  
بكرامته أثناء الهزيمة ، وابتهج بالنصر مع المبتهجين وقال لأحد أصدقائه وهو  
يسمع الأناشيد الوطنية للأمة المنتصرة : كل شيء ممكن . ويظهر أن ما أتفق  
من جهد وما أخذ نفسه به من صبر وحلد وما حمل نفسه عليه من درس وإنتاج  
وما تعرض له من بؤس وحرمان أثناء أعوام الهول ، كل ذلك قد حطم صحته  
نحطياً ، فذاق حلاوة النصر واستمتع بلذة الحرية ، ولكنه لم يستطع أن يثبت  
للنعمة بمقدار ما ثبت للنقمة ، فانهار بعد طول المقاومة ، وفارق هذه الحياة أشد  
ما يكون الأحياء حاجة إليه . من أجل ذلك لم تحزن عليه فرنسا وحدها ، وإنما  
حزنت عليه الانسانية المتحضرة كلها . وقد كنت كلما فكرت في زيارة فرنسا  
بعد النصر أستحضر ساعة حاوة كنت أعلل نفسي بأني سأقضيها مستمعاً لبول  
فاليري ، فقد ضيعت الخطوب هذه الأملية ، وما أكثر ما تضيع الخطوب  
من الأمانى !! .

فحسبني أن أعلل النفس بأني إن زرت فرنسا فسأسعي إلى قبر بول فاليري في تلك  
المقبرة البحرية التي رآها صديق . وغداً رجلاً ، واطمأن فيها الآن في آخر الدهر

## مستقبل آسيا بعد هزيمة اليابان

في منتصف شهر أغسطس الماضي على أثر إلقاء القبعاتين الذريتين الأوليين على نغري هيروشيما ونجازاكي ودخول روسيا السوفيتية الحرب ضد اليابان ، انتهت اليابان بعد مفاوضات قصيرة حول مركز الإمبراطور إلى قبول ما تضمنه بدار بوتسدام من وجوب التسليم للأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط . وبذلك انتهت اليابان هزيمتها الساحقة ، وانتهت الحرب في آسيا كما انتهت في أوروبا بهزيمة ألمانيا واستسلامها في أوائل شهر مايو الماضي .

وإذا كانت هزيمة ألمانيا النازية وما ترتب عليها من انهيار صروح الطغيان نازي ، وسحق العسكرية البروسية ، تعتبر من أعظم العوامل الحاسمة في تطور مصائر الأمم الأوروبية ، فإن هزيمة اليابان وما ترتب عليها من انهيار صرح الاستعمار الياباني في الشرق الأقصى والمحيط الهادئ ، تعتبر فاتحة عهد جديد بالنسبة لآسيا والأمم الآسيوية .

لبثت اليابان زهاء نصف قرن تندفع نحو الغرب والجنوب بخطى جبارة ، وتبسط سلطانها تبعاً على مساحات شاسعة من الجزر والأراضي القريبة منها ، ركازات الدين وهي نصف القارة الآسيوية المواجهة لها ، هي الهدف الطبيعي للاستعمار الياباني . وبدأت اليابان سياسة التوسيع منذ آمنت قوتها ونضجها في أواخر القرن الماضي . وفي سنة ١٨٩٤ قامت بأول تجربة ناجحة لها في هذا السبل حيث اشتبكت مع الصين في حرب من أجل شبه جزيرة كوريا الصينية التي لا يفصلها عن الجزر اليابانية سوى مجاز ضيق ، وخرجت اليابان من هذه الحرب الأولى بنصر باهر ، واستطاعت أن ترغم الصين على الاعتراف باستقلال كوريا ، وعلى أن تنزل لها عن قسم من منشوريا وجزيرة فرموزا وجزر أخرى في بحر الصين . ولكن اليابان اضطرت أزاء تدخل الدول الأوروبية إلى النزول عما كسبته في منشوريا واكتفت بما استولت عليه من الجزر .

وتمت هذه المنجزة نظر الدول الأوروبية إلى خطر هذه القوة الجديدة ولم تكن الصين في الواقع خصيصة اليابان الحقيقية بل كانت فقط ميدان النضال بينها وبين الدول الغربية ، وكانت هي القريسة التي تخرى من أجلها النضال . وكانت الدول الغربية قد بدأ زحفها الاستعماري على الصين ، وحذت بحتف الوسائل تحصل منها تباعا على حقوق وامتيازات سياسية واقتصادية وإدارية . وكانت روسيا التي تسيطر على النصف شالي من القارة الآسيوية ، وتتمرف على الصين من الشمال ، وتواجه اليابان في الضفة الأخرى من لبحر ، هي أخطر خصوم اليابان في هذا النضال الاستعماري السافر ، وكان زحفها المستعمر في منشوريا فيما يلي كوريا ثم حصولها على أغربوت أرض زرع اليابان ومنه توجسها . وأخيراً وقع الاشتباك المحتوم بين الدولتين ونشبت بينهما الحرب سنة ١٩٠٤ وكانت هذه الحرب الروسية اليابانية بمثابة إن تمبرة حد راء ، فقها نشبتك اليابان لأول مرة في حرب مع دولة من الدول الأوروبية العظمى ، وفيها يخوض الجنس الأصفر أول معركة حقيقية مع الجنس الأبيض . ولكن الدول الأوروبية الكبرى بدأت يومئذ ينضمون للروسية في سار خطورة هذا النضال ونتائجه . وميت روس في هذه الحرب بملحة من الغرائم المؤلمة في البر والبحر ، واضطرت في النهاية أن تعقد صلح مع اليابان ( سنة ١٩٠٥ ) وذلك على أن تترك لها عن أغربوت أرض روسية حديد مناورا وكانت على النصف الجنوبي الجزيرة سخاين روسية ، وأن تعترف بكوريا وحبري منشو مننقة لمنفوذ الياباني . وأوامع أنه لنتمض أعوام قلائل حتى أعلنت اليابان ضم كوريا ( سنة ١٩١٠ ) ولم تعترض على ذلك دولة من الدول .

وكان تفوز اليابان في الحرب الروسية من أعيدة المدى . ومن ذلك التنازل أخذ لي بان مكانتها في حرب الدول العظمى ، وتوطدت دعائم توسعها في شرق الغرب والجنوب ، وشعر الدول العظمى بخطورة الممنة اليابانية في تحقيق المقام الاستعمارية والاقتصادية في امين وفي غرب المحيط الهادئ . ولما نشبت الحرب الكبرى انضمت اليابان إلى جانب المهباء ، وخرحت منها بفتح استعماري جديد هو المستعمرات الألمانية في الشرق الأقصى ، وهي قاعدتين سنجانو في الصين وحزر كارولين ومارشال ومارين ، وبذلك امتد لمنفوذ ياباني بعيداً في قلب المحيط الهادئ .



وبدأ كانت الصين تخوض حرباً أهلية لا تمقنع ، وأوروبا تنحدر روياً إلى  
الأمم الدولية ، كان الاستعمار الياباني يعد العدة لتحقيق ضمرته الشاملة  
في شرق آسيا . وتبدأ هذه المرحلة باستيلاء اليابان على منشوريا في سنة ١٩٣١  
وتحويلها إلى دولة صورية باسم « منشوكو » . وكانت روسيا أكثر الدول  
الأوروبية توجساً من هذا التوسع الياباني في مناطق نالاق ملاكو وثورها في  
شرق الأقصى ، ولكنها آثرت الهدوء والثريث ، وأتبع اليابان استيلاءها  
لأعلى منشوريا بغزوها الأقاليم الصينية الوسطى . ومنذ سنة ١٩٣٧ تشهر  
يابان على الصين حرباً شاملة وتستولى تسعاً على لثغور والأقاليم الصينية  
ساحلية ، وتتوغل في قلب الصين شيئاً فشيئاً . وهما تلقى اليابان القناع نهائياً  
وتنذر لدول الغربية بأن رفع يدها عن الصين ، وأنها سوف تقاوم أية محاولة  
من جانب هذه الدول للحصول على امتيازات إقليمية واستعمارية في شرق  
آسيا . وكانت اليابان تحدث في ذلك اليوم باسم الجامعة الآسيوية وشعارها  
« ثم على جعل آسيا للأسيويين » وكان هذا الشعار يجذب فريقاً من الأمة  
الصينية . ولكن هذا الزعم لم يكن ليحجب الحقيقة السافرة وهي أن الاستعمار  
الياباني يحاول أن يترفع لنفسه صفة شرعية ليست للدول الأوروبية . وكانت  
أوروبا تشغل يومئذ زمام الخطيرة ، ولم تستطع الدول العظمى أن تقوم بـ  
عمل إجماعي ناهج لوقف هذا المحدث ، وقنعت بريطانيا وأمريكا بمعاونة حكومه  
شونكنج الصينية الوطنية إلى السحب إلى الداخل على مقاومة الغزو الياباني  
ومدها سراً بالمال والسلاح .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية كانت ليابان قد حررت في حولتها  
لاستعمارية الضخمة نجاحاً باهراً ، وغدت سائر الأقاليم الصينية الساحلية  
والوسطى مرتعاً خصباً للاستغلال الياباني ، وغدت الصين أمامها كنلة هامة ،  
وابهاتت مصالح الدول الغربية . وكانت اليابان ترتبط برباط التحالف مع ألمانيا  
وإيطاليا بمقتضى الميثاق الثلاثي ، ولكنها لم تدخ الحرب لولا بل لبثت تجد في  
الآهية وترقب الفرص السانحة ، ولما بلغت الانتصارات الألمانية أوجها في أوروبا  
قامت بضمها لغزيرة في بيرل هاربور في السابع من ديسمبر سنة ١٩٤١ ،

وهكذا نغبت الحرب بينها وبين أمريكا وحليفاتها بريطانيا العظمى . ولم تمض أشهر قلائل حتى استطاعت اليابان أن تستولى تبعاً على جزر الفلبين وبلاد الملايو وسومطرة وجاوة وحزائر ملقا وبورنيو وعدد كبير من الجزر المتناثرة في المحيط الهادئ ، واستولت أيضاً على بورما ، وأخذت تهدد الهند لبريطانية كما أخذت تهدد استراليا وزيلندة الجديدة في الجنوب .

وهكذا بلغ الاستعمار الياباني ذروة ظفهره ، واسطت اليابان سلطانها القوي على مياه المحيط الهادئ حتى المناطق التي تعتبرها كل من أمريكا وبريطانيا داحلة في نطاق سلامتها ، كما بسطت سلطانها على شرق آسيا كله ، والقارة الجزرية الهندية الكبرى ، وجنوب شرق آسيا ، ولاح مدى حين أنه فضحى من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن تنزع اليابان هذا التراث الاستعماري الباذخ .

ولكن الحوادث تطورت بسرعة مدهشة ، فلم تمض ثلاثة أشهر على هزيمة ألمانيا واستسلامها حتى اضطرت اليابان بدورها أن تخرج جائية أمام القوى الهائلة التي حشدت لسحقها ، وأمام فتك القنبلة الذرية المروع ، وأن تدعن للتسليم للأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط . وهكذا انهارت قوى العدوان الياباني في لشرق فجأة كما انهارت قوى العدوان الألماني في الغرب من قبل .



والآن لير ماذا يترتب على هذه الهزيمة الغامرة التي ميت بها اليابان وهي في أوج ظفهرها الاستعماري .

لقد قضى لضربة واحدة على الجهود الحبارة التي بذلها الاستعمار الياباني مدى نصف قرن في سبيل التوسع في مياه المحيط الهادئ وشرق آسيا ، ولن يبقى لليابان سوى الوطن الياباني المكون من رجبين الجزر اليابانية . وهكذا تكون النتيجة الأولى أن تمكش اليابان في جررها القديمة ، وأن تحرم من المواد الأولية والثروات الاستعمارية الوفيرة التي كانت تستخدمها في مهاض صاعها القومية ، وغزو الأسواق الآسيوية ، ومنافسة الدول الغربية في ميادين الاقتصاد العالمي منافسة قوية مزعجة ، وهو الغزو الاقتصادي الذي كانت تحميه سلطان الاستعمار السياسي في المناطق الشاسعة التي تسيطر عليها .

وقد حررت الصين وآسيا الشرقية كلها من كابوس الاستعمار الياباني ، كما



حررت منه لقارة الجزيرة الضخمة التي تشمل جزائر الهند الشرقية ، وانهارت سيطرة اليابان على ميساء المحيط الهادى ، وهى التى كانت تمكن لها باحتلال القواعد والجزر المتناثرة فى هذه المياه حتى استراليا وزلمدة الجديدة . وبذا تعود الحالة فى شرق آسيا وفى جنوبها الشرق كما كانت عليه منذ نصف قرن أى قبل أن تبدى اليابان حياة الفتوح والتوسع التى جعلتها فى بداية الحرب العالمية الثانية أعظم قوة فى الشرق الأقصى وفى المحيط الهادى .

وتواجه لصين بعد تحريرها مستقبلا جديداً ، واسكنها تواجه فى نفس الوقت خطر الحرب الأهلية والفوضى . وتلك هى معضلة الصين لكبرى ، فالصين ليست دولة موحدة الكلمة ، ولا تمثل حكومة شونكنج التى تتحدث اليوم باسم الصين سوى جزء فقط من الصين الكبرى ، وهما لك مناطق أخرى تستمتع باستقلال محى وتقوى فيها قوى عسكرية إقطاعية . وأعظم لقوى المحلية الحاضرة هو الحرب الشيوعى ، ويسيطر الشيوعيون حكمهم على مقاطعة ينان وغيرها . فهل تستطيع حكومة شونكنج أن تتغلب على هذه القوة الخارجة وأن تجمع كلمة الصين فى صل دولة صينية موحدة ، وحكومة مركزية يحصص لها سائر الوطن الصينى ؟ إن مستقبل الصين الجديد يتوقف على تحقيق هذه الوحدة ؛ فإذا لم نوفق الصين إلى تحقيقها المحارب مرة أخرى إلى غمرة الحرب الأهلية والفوضى .

ومن جهة أخرى فلا بد لنا أن نذكر موقف الدول المتحالفة من الصين . ما يهدد الدول مصالح اقتصادية واستمرارية قدعمة لا بد أن تحسب الصين حسابها . وقد اعترفت الصين بالعمل عصالح روسيا السوفيتية فى منغوليا الداخلية وفى منشوريا ، كما رأت لها عن نفوذ بورت أرثر . ومن المعقول أن تعامل كل من بريطانيا وأمرىكا فيما يتعلق بمصالحها فى الصين مثل هذه المعاملة ، فتسترد امتيازاتها وسيطرة الاقتصادية القدعمة . ولئى تتخذ هذه الامتيازات صورة الاحتلال أو سياسة الأحمية ، ولكن من الواضح أن الدول الثلاث الكبرى سيكون لها أكبر الأثر فى توجيه الصين الجديدة وفى تنظيمها السياسى والاقتصادى .

وأما جزائر الهند الشرقية ( سومطرة وجاوة وجزائر ملقا وبورنيو ) تلك مرة الجزيرة الغنية التى تملكها هولاءد الصغيرة فلم ينصح بعد ما إذا كانت ستعاد إلى الإدارة الهولندية . بيد أننا نشك فى أن الدول الكبرى ستقف عند هذا الحل ، وربما وضع نظام جديد للإشراف المشترك على إدارة هذه الجزائر واستثمار

مواردها لغنية خصوصاً بعد ما أصاب هولندية من الضعف والانهيار . وتسمى فرنسا الآن إلى استرداد الهند الصينية ، ولكن الدوائر المتحالفة تبدى تردداً في ذلك ، ولا زال تذكر كيف سلت فيشى الهند الصينية في بداية الحرب إلى اليابان ، وكيف اتخذتها اليابان قاعدة للوثوب على بلاد الملايو وجزائر الهند الشرقية . وقد لا تمنح بريطانيا وأمريكا في النهاية في أن تسترد فرنسا الاشراف على مستعمرتها السابقة . ولكن هذه الموافقة ربما اقترنت باحتلال أمريكا وبريطانيا لبعض قواعد استراتيجية في الهند الصينية تكون متممة للقواعد التي تحتلها الدولتان في البر الصيني ومن جهة فانه يبدو أن فرنسا سوف تواجه مطالب « الأمم » القومية في الحصول على الاستقلال الذاتي .

ويلوح لنا أن هزيمة اليابان سيكون لها أثر عميق في تطور السياسة البريطانية نحو الهند . ذلك أن بريطانيا تستطيع الآن أن تطمئن إلى سلامة الهند وزوال الخطر الياباني عنها بعد أن فقدت اليابان قواها البحرية والعسكرية وسدت في وجهها جميع المسالك المؤدية إلى الهند . وسيكون في وسع السياسة البريطانية بعد ذلك أن تقف من أمام الهند في الاستقلال الذاتي موقفاً أكثر عطفاً وسخاء ، وستحصر عناية بريطانيا في السهر على سلامة الهند من ناحية حدودها الشمالية الغربية ، أعني من ناحية روسيا . بيد أن الخطر الروسي على الهند لم يبد في وقت من الأوقات جسيماً على نحو ما بدا الخطر الياباني خلال هذه الحرب ، وقد شرفت اليابان بعد استيلائها على حدود بورما على حدود الهند الشمالية ذاتها .



والخلاصة أن القارة الآسيوية سوف تشهد بعد هزيمة اليابان وتحطيم سلطانها الاستعماري عهداً جديداً . ولا مرأى في أن انهار الطغيان الياباني فوز لاندعمراطية وقضية الحرية . ولكن يجب ألا ننسى حقيقة العوامل التي قام عليها هذا الصراع وحقيقة النتائج التي سوف يسفر عنها . فقد كانت معركة الشرق الأقصى معركة الاستعمار والنموذ الكبرى ، وكانت معركة اليابان والدول الغربية ، أو عبارة أخرى معركة الجنس الأصفر والجنس الأبيض ، على احتواء السيادة والمفاهيم الاستعمارية . وقد قارت الدول الغربية بعد صراع مرير هائل في تستخلص تراثها الاستعماري من قبضة اليابان وأن تحطم منافستها الخطرة ، وأن تردّها إلى عزلتها

## مستقبل آسيا

القائمة في داخل جزرها الحقيقة . وقد كانت الصين والمحيط الهادئ ميدان هذه المعركة الكبرى . وما الصين فقد فازت بنوع من التحرير لارال عليها أن تؤمد دعمه . وقد حققت روسيا أمنيتها القديمة في توليد سلطانها الاستعماري في شمال شرق آسيا وفي الحصول على منافذ بحرية دائمة في مياه المحيط الهادئ وفي القضاء على منافسة اليابان الخطرة في تلك المنطقة . وحققت أمريكا حلمها العظيم في الاستئثار بالسلطان في شرق المحيط الهادئ وأسطه وتحويل هذا البسيط المائي الشاسع إلى منطقة سلامه قومية ، وسحق الخطر الياباني الذي كان يزعمها زحفه وتقدمه . ومنت بريطانيا شر الخطر الياباني على الهند وأستراليا وزيلندة الجديدة ، وتحلست الى مد بعيد من منافسة اليابان الاقتصادية في أسواق الشرق الأقصى .

وهكذا يقوم سلطان الدول الغربية الكبرى وتقودها في آسيا وفي المحيط الهادئ على نقاض الاستمرار الياباني الداهب . وعلى ضوء هذا التبدل في الأوضاع يجب أن يفهم تحرير القارة الآسيوية . على أنه مهما كانت قيمة هذا التحرير النسبي ، ومهما كان يشوبه من معنى السيادة والنفوذ ، فإنه يجب أن يعتبر بالنسبة للصين وبالنسبة للقارة الآسيوية خطوة عظيمة الى الامام .

محمد هبة الله هاشم

## عالم الطفولة

*Mein Kind, wir waren Kinder.*

H. Heine

حدثت طيارات الأطفال إلى ماكنها المأوى بعد ست سنوات من حرب البحر والبحر والجو. وهاهي ذى ترتفع في كل ساعات النهار من شاطئ البحر الداني إلى علو منزلى. وقد تعمده وعن سطح المسارل المجاورة، يتسهما ناطرى، ويخلق معها شعورى، حتى لاسى الحاصر والمضى القريب وأعود بالله كرى إلى سنتى العاشرة وما قبلها أو بعدها بقليل، وأنا تمسك بالعمان الرفيع للطيارة المحلقة كالحواد الطائر. تركه لها رويداً حتى لا تنطح خفاة رأسها وتختنق بذبلها. إذا التف حول رقبتها. ولسكنها لطاب المرء من الحرمة والارتفاع، وأنا زخى لها المذن ما بقى معى خيط. ثم لا يبقى من الخيط إلا طرف طليق ألفه حول ذراعى كآخر قيد يحفظ لى لطيارتى فى كبد السماء. هو صك الألفة بين صديقتى الطائرة، وبين قلبى الوامق ونظرى المعجب.

وقد أرسل لصديقتى الهوائية رسالة الهوى، وعربون المحبة. مائة خط به منديل يحمله الهواء منزلقاً على طول الخيط، حتى يوصله إلى قلب لطيارتى، حيث تجتمع الخيوط الثلاثة التى تزنها فى الهواء، وتتحكم بحياتها فى الفضاء. لم تكرر الطيارة فى طيرانها إلا الحلقة الأخيرة من سلسلة نشاط وحركة تبدت صاحياً بزيارة حانوت العطار لشراء الخيط — أو النير كما كان يسمى — والورق الملون، ومسحوق السراس الذى نصنع منه صمغاً خاصاً، ثم بالبحث عن عصا من البوص الجيد عند صانع جوز التباك.

فاذا عدت إلى المنزل، جلست فى ركن من «الفسحة» خال من الأثاث، ثم بدت فى تشطير البوصة طولاً إلى ثلاث عصى، أضعها متمازضة وأرلدها من وسطها فتصبح أقطاراً لشكل سداسى متساوى الأضلاع. وأصل بين أطرافها بخيط يحول المسدس الرياضى إلى مسدس واقعى، هو هيكل الطيارة.

وإنما... حقوق الراس بالماء لا تكون عجينة صفراء لرجة ، وأقصر... إلى  
لمونة إلى مثلثات ألصقتها بالهيكل وأنا ألاحظ المقابلة بين ألوان هذه المثلثات ،  
وهي محدودة لا تتعدى الأخضر والأصفر والوردي والأحمر .  
وأن دور قصصنا فيما بقي من الورق أحوله شرائط أو غداً ، أعقصها حول طول  
من الحيط فتكون ذيل الطائرة ، وهو على شكل « وى » طويل الساق . وأصل  
صرفى الوأى يصلح من أضلاع الهيكل .

ثم ننقل من هذه الهندسة المسطحة إلى هندسة فراغية ، حين ننشئ هرمًا  
خياليًا متساوى الأضلاع ، بواسطة ثلاثة خطوط ، أحدها يربط في مركز الطائرة ،  
ويربط الآخرين بطرفي الضلع المقابل لضلع الدبل . وهذا الهرم الخيالى هو  
« الميران » الذى يتوقف عليه ثبات الطائرة فى الجو من جهة ، ومقدرتها من  
جهة أخرى على تلقى تيار الهواء الأفقى بانحراف يكون من أثره أن تأخذ فى  
الارتفاع . فهو أهم عمل هندسى ميكانيكى فى وضع طيارتى ، وآخرها .

ثم بدأ إعداد الطائرة فى هدوء وعلى انفراد ، لا يقطع على عملى إلا أولئك  
الآدميون فى إصرارهم على الحاجات المادية لطفاهم ، فهم يدعونى إلى الغداء بالرفق  
أول الأمر ، وبالغنى فى آخره .

وأى طعم للأكل فى ذلك اليوم المجيد ، ولم يعد الطفل الصنّاع من سكان  
هذا الكوكب الأرضى ، إنما هو روح حائم حول طيارته ، متعلق بتأجها  
المون وغداً التى سوف يبعث النسيم بها فيشير منها خشخشة ناعمة تخفت  
رويداً كلما ارتفعت الطائرة فى الجوى .

وانزل إلى الأرض الفضاء خلف المنزل لأشعر فى التحديق ، فروحى هو  
الطار مع طيارتى . أما ذلك الجسم الصغير الباقي على الأرض فإن هو إلا نذل فى  
آخر الحيط ، « أنجر » يربط السفينة المحلقة فى أعين عليين بقرار هذا البحر الشفاف .  
قد يكون الهواء ربحاً على سطح الأرض ، فلا أحتاج إلى أكثر من رفع  
الطيارة فوق رؤى ممسكاً بميزانها ، فيحملها الريح عنى . وقد يكون نسيماً ناعماً  
فأضع الطائرة بحساب على الأرض ، وأبتعد عنها ناركاً لها طولا كافياً من  
الحيط ، ثم أجرى وأنا أسحبها فترتفع إلى درجة كافية لتلقى رياح الطبقات العليا  
من الجوى .

الطبقات العليا من جو الطفولة ، هى حيث ترقى الحماهم واليام ، وإلى ما فوق

ذلك حيث يرى الايور العراقي - كما كان يعرفه ، وهو ايطال - سائراً سيرة في اقواس وحطوط مكسرة لبتهم رحلة لشتاء والصيف لطمقات العليا التي تهبط منها اغاريد الكروان في الليالي ذات الكواكب والحووم الراهية . تطبق الجو العليا يهبط منها دهمش وصاحبته الجنية يحملان الاميرة بدور بنت الملك الغيور إلى قبو قر الزمان ابن الملك شهرمان .

ما برحت إلى اليوم وقد طويت ورأى مرجبه اعمر الواسع - سمع خفيف أجحة دهش والجنية ، بالوضوح الذي كنت سمع به خفيف طيرتي ذات الألوان الراهية ، وخشخشة ذيلها تنطرب غداؤه في أشعة الشمس كالسنة مله . فكل شيء في عالم الطفولة وحدة كاملة ، صورة من وحدة الوجود ، لافرق بين حقائقه والأحلام .

هو من عالم الطفولة ذلك الصندوق الخشب المون ، محله مارد زرى الهيئة ، غير الملامح ، ينفخ في صورته فتجري إلى صندوقه وقد وضعه عن ظهره مام المنزل ، ودعانا إلى الجلوس على دكة متبالكة مام عيون بلورية في جانب من الصندوق . ثم يغطي بنا بخرقة بالية ، لا يمكن إلا أن تكون قطعة من بساط سليمان . فما إن نحوس بأنصارنا خلال العيون البلورية حتى ننتقل إلى عالم غير عالمنا ، تتحرك في عرصاته صور عزيزة ويونس وأبي زيد الهاللي والير سالم وابن ذي زن ، وغيرهم من الأبطال الذين لا يتطرق إلينا الشك لحظة في وجودهم . وينتهي العرض ببضع تكرات مشدودة إلى خيط ، يديرها الساحر بيده فتجري وسط ميدان فسيح « بكركة » كارع ، وتمثل آخر العجائب ، عجينة امصور الحديثة : الوابور . رحلة بدأناها فوق لسط الرمح وختمناها على متر لبحار . من عالم الطفولة قصص الجدة والحالة إلى جانب المدفأة في ليالي الشتاء . رأيت فيها الأميرات والصعاليك ، والأبطال والسلاطين في ثملهم وحالهم ، بين جدران قصورهم ، أو في مسالك تبهم الطويل . رأيت الجالطائر في سمواته ، والحن المختفي في كهوفه يشق حواس الجبال وسطح الأرض ، كما يشق السابغ صفحة اناء . سمعت أنين العاشقين فرق السحر بينهما فراقاً فيه قسوة الجحيم وعذاب الططال . ولا أنسى من بين هؤلاء اثنين أحالهما الجوسى زوجاً من الطيور ، وحبسهما في قفصين متواجهين لا يتلامسان . يرنو كلاهما إلى الآخر في حسرة من وراء قضبان سجن مزدوج : سجن القفص ، وحبس الجسم المربش الغريب .



حرار هم الأطفال . . . والمتصوفون . هذا كان المنسوف لا يملك إطلاقاً روحه الخسيس في مادة الجسد إلا بجهد العرى والجوع وأنورع والتأمل ، فان الطفل تنقل بين عالمه المادى والروحى بسهولة المارد يخرق الحدار ، ويرفع عن مادته في يسر لطيارة الورق يحملها نسيم إلى علي . وما أصلة بين الطفل في حسده وفي روحه : أكثر من الخيط الرفيع يصل بين يده الصغيرة والمعوية الجميلة في أطباق الجو .

يرى الطفل روحه أكثر مما يخطر لعينه ، فيضي الخيال على كل الأشياء وكل المحبقات . فما هي تلك الطيارة سوى أوراق ملونة رخيصة ألصقت بصمغ قدر إلى قطع من الخوص والخيط ! وهذه الأناشي السوقية في الموالد والأعياد تنسربل في ثقبسة قدرة مهلبة ، وتصطبغ بأدهان فاقعة ، زيتها الصفيح وأزوار الصدف وشعر الدواب . ملك الزمان يمتطى جواده الأشهب — خلف حصان حرار ! وبطل البادية يداورون وبخاورون ، ضاربين سيوفهم البتارة دروعاً كأنها قطع من الليل البهيم — وهي قعر صفيحة وقصبان خرده سواها السمكري في رمضان ؟

وهذا اللاعب الاسكندراني في سراويله السوداء ، وقمصه المزركش ومنطقته الكشمير ، يرفع على طرف قدمه العارية مشعلاً ، ويحجل تقدمه الاخرى ، ثم هو يركل المشعل إلى أعلى ليلتلقاه على أرنبة أنفه ، أو فوق يافوخه . وحوله رفاقؤه يقرعون طبولهم المتعاقبة إلى أعناقهم .

صفيح في صفيح ، وورق ملون ، وطرايطر حمراء وصفراء ، وقطع من الزجاج والمرايا ، وأسماق قدرة تنفرك ، وقدام حافية ، ورجال موشومون . صفيح فوانيس رمضان ذات الزجاج الملون ، ملانات بيضاء تغطي قضباناً حديدية ، مصابيح الذكر الكبيرة تنطف حولها العامة في ليالى الحضرة . وسكر مغلى رصع بقطع من اللبس والنقل هذا « العلى لوز » .

وما هو الأراجوز البلدى ؟ حشب ملونة مزوقة ، رسمت في أعلاها وجوه ادميين وقردة ، وألبست خرقاً جمعت من قمامة . يحركها مواطن عزبة الصفيح وهو مختبئ ، في جوسق من الخيش المرصع بألصاف الملايم ، وعقود البكر والودع . يتكلم بصوت البغاء ، فتغلبه حشرة شعب قرحها الخشيش والتبناك . والأراجوز من بنى عمومة عرائس المولد يبشرتها السكرية وغلااتها ذات

الورق المنقش، وشعرها الدخيل تعود لأرواح تتلألأ في ضوء المناسج الغريبة  
منظمة حتى مدرجاتها الخشبية في صفوف « نداء » أو « نواير الاستعراض »  
تحف بها الخمل وخرال وسبع وحررة حمراء ووردية وبيضاء .

سرة وحده تلك الدمي من حيوى وحش وحش وفس . وصور صندوق  
الدياء ، وملاعب القروود وأتانه ، والحاوى وثعابينه ، والاسكندراني ونقاريتيه ،  
وضارب الدف ، والموقع على الناي والآرغول .

سرة واحدة وعلم واحد ، المولد وحصرة الأولاد ، وأسرب وحوى .  
وفرسان الأراجيح ، وألعاب حتى لور ، تحسنت فيها قميص لشاعر رباعه .  
والشاعر بغير رباقته في أحياء قاهرة المعز والصالح وأتابك .

أسرة طفولتنا ودنيا خيالنا . ظلال ملونة تلقى أحلامنا فوق صفحة يقطتها  
البيضاء . فإذا أضحى المعلم مصباحه تبددت الخيالات ، وفراغ غيبسنا المنحور  
الصحوة الأخيرة .

صحنونها ذات يوم ذكره حينها ، عند واحدة من قرصات ، بمحضر لسود  
تلقيننى كما يتلقى كهنة التبت عظيمهم الطفل دلای لاما .

فقد خرج رجل يضع في كفى قنجاناً يحوى على قليل من القهوة ، وينضح  
حبلى بالزيت ، ويغطي رأسى بملاءة ، وهو يأمرنى أن أديم النظر في قاع الصحن  
عرفت أن الرجل فاتح « المسهل » ، ولا يفتح إلا بين يدي صدى دون البلوغ  
وكما سمعت بالمندل وكان سحراً من أسجار طفولتى ، وأملا بعيد المنال من أمامى  
حتى يفتح المندل لعينى فأرى الخدم في قاع الصحن ، وأمرها فتكنس وترش .  
ثم يجىء السلطان ووزراؤه وأسألهم أين احتفى فلان بن فلانة ، ومن أى طر ،  
تتعقب حراى الحلة والحلى .

حمل الرجل يتلو تعاويذه على رأسى ، لغة تلقينهم عن دهنش وفصيلته ، في  
وسوسة حتى لغة العشر ، وخفيج ذى العيون المشقوقة بالطول ، والرجل المسبوحة  
النظر وأدق النظر لعل أبصر ما توقعته طول طفولتى ، على أن صفحة  
العبوة لم تتحول عن السواد . ولكن . . . ما هذا البصيص في قاع الصحن  
ينسع فأرى الساحة والخدام ، والسلاطين والأعوان ؟

وأشفا لم يكن سوى انعكاس ضوء خافت نفذ من فرجة في الغطاء الذى  
سجده فاتح المنديل فوق رأسى وفوق ذراعى الممدودة بالمنجان .

## عالم الطفولة

تعب الساحر وهو يسألني : « هل حضروا » ، وأنا أجيب بالنفي يقيماً أخفق الرجل ، أو أخفق الصبي .

فكشفت أغطاء عني واعتذرت للسيدات ملقياً على تيممة حبيبته :  
— الولد أدرك !

احمرت وحننا الصبي المسكين خجلاً ، إذ فهم ما يعنيه الساحر السوق بهذه الكلمة العامية .

ولسكني فهمها اليوم بمعناها الفصيح . فقد بلغ الصبي مرتبة الإدراك . وكان الممدل الذي لم يفتح عليه هو آخر باب من أبواب عالم أغلق وراءه ، هو عالم الطفولة وفردوس أحلامها .



في هذه اللحظات التي أقضيها ساهماً ساكناً ماء البحر ، أجدني على ساحة الذكريات ، وأمضي ببصري عبر هذا البحر إلى بحار وأراضين بعيدة ، غروب أتى رحلت أجيل رحلاتي ، وترودت فيها بأقدس زادي ، حين اعترضت في طيارة حمراء صفراء وردية خضراء ، يطيرها صنو لي ، تفرق بيني وبينه حضرات معدودات في القصص ، وتفصلني عنه أعوام وأعوام لا أودها عدداً .

Mein Kind, wir waren Kinder,

Zwei Kinder, klein und froh (١).

حين نرى

---

(١) هذا الشعر من قصيدة للشاعر الألماني « فريش هيني » يقول فيه لأخته « يا أختي ! لقد لعبنا بالصبا ، حين كنا طفلين مرحين » .

## القنبلة الذرية وانعدام الذرة

في جزء من الكرة الأرضية حيث لا يعد الناس شيئاً عن الذرة مات وجرح ربع مليون من البشر ، في بلدة لا يتجاوز مقدار أهلها ذلك بأكثر من ألفين ، وهكذا لم يبق من كل مائة من السكان إلا واحد ، وكأنما بقي ليحدث العالم عن هول ما حدث .

تخطمت قنبلة ذرية في هيروشيما باليابان ، ذلوا إن وزنها خمسمائة جرام ، وبمجم الميضة ، وذكروا أن ما انعدم من كتلتها واحد من مائة ألف خمسة جرامات ، وقال آخرون بل هو واحد من ألف ألف خمسة جرام .

ويتلخص الحادث في أن المادة التي انعدمت هي في حدود أحرام ، والاثني ، بحيث إن ذلك الجرام لو انعدم بالطريقة ذاتها في مدينة مكتظة بالسكان كمدن لبلغ تعداد الضحايا خمسة ملايين ، ولعبارة أخرى لو أنه انعدم هذا الجرام من المادة كلية أي ما يعادل حبة من الفول في حو مدينة القاهرة لتفنى نهائياً علمها . بحيث يتعذر على مرتاد ذلك الجانب من ضفاف النيل أن يدرك أنه كان يظن مدينة عظيمة عاصرت التاريخ من نيف وألف عام .

ولعل هذا يحتاج إلى كثير من التامل ، على أني أسأل القارئ أن يبعد عن ذهنه أن ثمة أجزاء مادية خرجت من حبة الفول الصغيرة فتسارعت بقوة و انفجرت كما تنفجر المفرقعات . إن أمثالا من المواد المتفجرة لو قدر أن تنفي في قلب العاصمة لا زيل بقايا الجامعة المصرية بمبانيها ولا تهدم عمارة الأهرام العظيمة ، ولا تذهب بحدائق الحيوان القسيحة وأهرام الجيزة المسكين .

أي جسيمات تلك التي تخرج وتتناثر من حبة الفول في قلب القاهرة فتدك أركان ذلك لطود الشايخ منها وزيل مسجدى الرفاعى والسلطان حسن بن تلك القلعة الشاهقة المديرة للعاصمة الجميلة .

إن جرماً واحداً من المادة مهما بلغ من تناثره بمعنى المذوف لا يمكن أن يحدث تلقاً تلقاً في نافذة واحدة من بيوت مدينتنا القسيحة .

صحيح كما سندرك أنه حدث نوع من التناثر الصوتي أو الفوتوني ولكنه يختلف عن التناثر بالمعنى الذي نفهمه ، ولا بد لي إذن أن أحدثك عن الذرة وعن تدميرها أو انعدامها وتحويلها إلى طاقة لها من الأثر ما يتعدى كل خيال ومن العظمة ما يرتد عندها البصر .

ولاً كتمك أني في حيرة كيف ، وفي صحائف معدودات ، يتسنى لي أن أسمك على عظم راث في العلوم ، إلا أنني سأحاول جهداً أن أعطيك في ساعة من الزمن خلاصة لما عرفناه في عشرين من السنين .

\* \* \*

ولنحصر إذن الحديث فاذا ذكر القارئ في بادئ الأمر بالفوارق المعروفة من ميسميه العلماء 'جزئياً' وما يسمونه ذرة ، جميع مركبات المادة في الكون ، وبعد عشرات الألوف كالماء والسكر ، تتكون كلها من جزيئات المواد المختلفة ، وتتكون هذه الجزيئات من الدرات . جزيء الماء مثلاً يتكون من ذرة واحدة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين .

شي أن الكيمياء القوة في فصل وتحويل هذه المركبات ، ولكننا لا نستطيع التفاعلات الكيميائية وحدها تحويل ذرة العنصر الواحد إلى ذرة عنصر آخر ، ومن هنا عرف الكيميائيون عدد عناصر الكون ، وإذا بها ٩٣ عنصراً ، حمها الهيدروجين وثالثها ايورانيوم ، وهو العنصر التي سمعت باستخدامه في القنبلة الذرية .

وهكذا طلت كل ذرة وحدة مقفلة يستحيل حتى عهد قريب على العلماء تجزئتها ، لذلك سموها 'أتوما' ( atome ) أي الجزء الذي لا يتجزأ .

\* \* \*

تري مني تقدير هذا الاعتقاد ، ومتى وصلتنا أول رسالة من داخل الذرة ؟ ومن كان له الفضل في ذلك ؟

إنني أجيبك بما وافقتني عليه العلماء المحدثون فأقول : هناك قريبا من كاندراية نتردام ، هناك في الحى اللاتيني في قلب باريس وفي سنة ١٨٩٦ أي من نصف قرن ، حيث كانت العربدة مارلت تقوم مقام السيارة ، وحيث كان

## النبيلة الذرية وانعدام الذرة

الناس على 'خائق' أعظم من اليوم ، هناك شيخ سيذكره التاريخ ، ويُستَحْتَل له قسماً وافراً في معرفتنا بالذرة ، هذا الشيخ هو « بكارل » ، قد طواه الزمن فأصبح كغيره من العلماء في عداد الموتي . ولمعري إنه عند ما يصبح للذرة شأن في حياتنا ستحل صورة « بكارل » في كل متاحف العالم وهياكله المقدسة كـمؤسس أول للتهدم الذري .

وضع « بكارل » قطعة من اليورانيوم على اللوح الفوتوغرافي الملفوف بالورق الأسود ، فانطبعت صورة القطعة على اللوح من تلقاء ذاتها ، فذكر « بكارل » أن اليورانيوم يشع ، وأن المادة تتحول إلى طاقة أي إشعاع . يُرسل اليورانيوم إشعاعه من قبل وجود الإنسان ، فهو أقدم منا بملايين السنين ، ولكن « بكارل » كان أول من لفت النظر إلى إشعاعه .

أحدث ذلك الكشف وما تبعه من أعمال مدام كيرى المعروفة بكشفها للراديوم ، وهو مادة أكثر إشعاعاً من اليورانيوم ، تقول أحدث هزة عسيبة للبشر ، هزة تفوق عندي تلك التي صادفها الإنسان عند ما لاحظ « فراداي » حركة الالة المغناطيسية قريباً من سلك يمر به تيار كهربائي ، تلك الملاحظة التي قال عنها لزوجته يوم عيد الميلاد أنها شيء حديد للعالم . لم يحظى « فراداي » التعبير فكأننا نعلم بقية القصة الرائعة التي نتجت عن ملاحظته ، فقد سار الترام يحترق المدن ، وتحرك المصعد يعملو العمرات ، ودار المحرك والموالد ، بل لقد نشأت كل الصناعات الحديثة .

أما ما قد يتم نتيجة للملاحظة « بكارل » ودراسة « كيرى » فلا يعلم أحد ، مده في مستقبل البشر .

وهكذا بينما تنظر لمادة كأنها جامدة لا حراك فيها لمس نعماء فيها حركة دائمة ، ولاحظوا أن من بينها ما يمارد جسيمات الخارج . واتسع البحث العلمي في هذا الصدد ، وناقت الجامعات تنتظر اليوم الذي يسيطر فيه الإنسان على هذا النشاط الذري فيحدثه متى شاء ويستخدمه فيما يريد .

\*\*\*

طفرت الفيزياء بعد ذلك طفرات واسعة ، وفتح العلماء أن الذرة هي صغرى تتكون من نواة وسطى كالشمس مثلاً يدور حولها عدد من الجسيمات الصغيرة



سموها كيمرب أو « لكترونات » . ويطول بنا الحديث ولشرح إذا أردنا أن نوضح القاري لماذا افترض « رذرفورد » من أساتذة جامعة كمبرج النظام الشمسي للمادة . وعنده تتكون ذرة الهيدروجين مثلاً من جسيم واحد في لوديه مائة مائة « بروتونا » وشحنته الكهربائية موجبة ، يدور حوله « لكترون » واحد كما يدور القمر حول الأرض ، بينما يدور في ذرة الراديوم ٨٨ « لكترونا » وفي ذرة اليورانيوم ٩٢ ، بمعنى أن الذرات المختلفة تكون مجموعات قسمة مختلفة .

ولأن استطاع أن ترك هذا العرض دون أن ذلك على أعظم نجاح ناله عالم معاصر ، في ذكره في أنباء القنبلة الذرية ، وهو ما كشفه « لايزر بوهر » العالم الدنماركي في سنة ١٩١٣ ، عندما فسر الإشعاع الضوئي بأنه وثمة لاللكترون من مدار بعيد في لودة إلى مدار أقرب منه ، وجمع في هذا التفسير بين نظرية «كم» المعروفة لعالم الكبير « بلانك » ، وبين نظام خطوط الطيف المعروفة بهيدروجين وغيره من العناصر . وهكذا باتت الذرة شيئاً معروفاً تقرر الدراسات الطيفية المتعلقة بها بحركة الجسيمات في داخلها .

تتابعت جهود العلماء منذ « بكارل » و « كيري » ونظروا للمادة طاقة والطلاقة مادة ، وحاول بعضهم الوصول إلى تحول أحدهما للآخر وحسب بعضهم طاقة الناتجة من هذا التحول ، حتى إن « أينشتاين » أعطى المعادلة التي يتم بمقتضاها هذا التحول ، فقرر أن كتلة من المادة مقدارها « ك » تتحول إلى طاقة مقدارها « ح » حيث ع هي سرعة الضوء ، ومن هذه المعادلة يتضح مقدار الطاقة العظيمة التي يمكن أن نحصل عليها من قليل من المادة .

وعكف عدد كبير من العلماء على دراسة الجسيمات التي تتكون منها الذرة ، من الجسيمات التي تتكون منها نواتها الوسطى ، وإنه لا يكتفى عشرون مقلاً ولا مائة لودف المسامات التي اكتشفت فيها هذه الجسيمات ولدراستها ، ولدراسة الألكترونات التي تدور في فلاكها ، ولدراسة نوع هذه الأفلاك بالرجوع إلى الميكانيكا الموجية . لمؤسسها « لويس دي بروي » الحائر على جأرة من وسائد السوربون . ولكنني أقتصر في مقال اليوم على تعداد أسماء هذه الجسيمات . لحاحي إليها في وصف عملية التفتت الذري وعلاماتها بالقنبلة الذرية ، وهذه الجسيمات هي « الألكترونات » وشحنته كما ذكرنا سالبة ، وهو من

المسافرين حول النواة . والبروتون وهو نواة الهيدروجين وشحنته موجبة وهو من سكان النواة ذهاباً في جميع العناصر . والنيوترون وكنيلته قدر كتلة البروتون وليس له شحنة كهربائية ، وهو من سكان النواة أيضاً . ويوجد غير هذه الجسيمات « البوزيترون » ويمتد وجوده في المواد المختلفة وشحنته موجبة ، وقد كشفه « مدرسون » في أمريكا في الأشعة المسماة لأشعة الكونية . كما يعرف اليوم ، لنيوترون وهو وحدة ضوء ، والجسيمات المتحد ، « إلكترون » مع « البوزيترون » ، كما يتحدون عن جسيم « النيوترون » ، ومعرفتنا عن كتلته أو صفاته المبرزة قليلة ، وهو على حد علمنا شخصية ما زالت غريبة . وبني كتنى بذلك في ذكر الجسيمات ، ولكني يعبر بقارئ ما هي عليه من المسألة فطلب إليه أن يتصور إحدى هذه الذرات ، التي أسلفنا أنها مكونة من نواة وسطى كالشمس تدور حولها بعيداً جداً عنها عدد كبير من الإلكترونات ، ويتصور أنه يمكننا أن نضع هذه المجموعات الشمسية في مائدة ، وأحد نصف جوارها ذرات أخرى في مجموعات شمسية مائة مائة مرة من عشرة ملايين من هذه المجموعات الشمسية والذرات المتجمعة لكي تكون قد شغلنا من هذه المائدة مائتين وأحد في الطول .

ثم بعد ذلك أود تخليصاً أن تتصور معي أن الإلكترون ونداده بروتون والبروتون وغيرها ذات شخصيات بديلة ، ولها صفات ، ويخضعونها بحدود الذي يرغبونه ، ويفقدونها بالسرعة التي يريدونها ، بل يمكنهم مسارات بالآلة التصويرية في الموجات الفوتوغرافية ( وذلك بجهاز غرفة ولسون ) . وأكثر من هذا أنهم استخدموا لنا من الأجهزة ما يمكننا من سماع صوت معين عندما يمر جسيم واحد « إلكترون » مثلاً أو « بوزيترون » من هذه الجسيمات .

ولعلك تعجب معي إذن أن يرى أن الكون المكون من مئات الألوف من المركبات المختصر في ٩٣ عنصراً ، وهذه العناصر ترجع إلى خمسة ستة مثلاً ، بل إن بعضهم يعتقدون أن كل من ذلك عدداً معتدلاً يمكن تحول وإدماج بعض في بعض . ولقد دلت التجارب أنه لو قدمنا النواة إحدى هذه الجسيمات ، ولتسكن المديفة بروتونا أو نيوترونا ، وتمكننا من إخراج إحدى الجسيمات المكونة للنواة إلى الخارج ، أو تمكننا من إضافة جسيم جديد إليها بحيث

يستمر فيها ، وننا نكون قد حولنا ذرة هذا العنصر إلى ذرة عنصر آخر ، وهذا ما أحدثه العلماء .

إن الكيميائيين المحدثين أكثر حذراً وسعادة من سلفهم كيميائي القرون الوسطى ( Les Alchimistes ) ، وأما في مصر كثيرون ، من أولئك الذين يحاولون تحويل الرصاص إلى ذهب ، ذاك بأن المحدثين استطاعوا تحويل العناصر بعضها إلى بعض ، واستطاعوا أكثر من ذاك إيجاد عناصر لها أعمار معينة لم تكن موجودة وليست موجودة عندنا في جدول العناصر ، ولكنهم استطاعوا كل ذلك بوسائل لا تخاف على بل هذا الجيش من غواة الكيمياء القديمة .

صحيح أننا نستطيع اليوم أن نحصل ، ولو بمقادير قليلة ، على الفوسفور من الكبريت بوسيلة معينة ، أو نحصل على الفوسفور ذاته من الألومنيوم بوسيلة أخرى كما فعلت « إيرين كيري » ابنة مدام « كيري » وقرينها « جوليو » ، ولكن وسائل الحصول اليوم ترجع إلى تحويل ذرة الكبريت ، وهو ما لم يحاوله الأقدمون .



ولنستعرض الآن هذه الناحية من العلم التجريبي الخاصة بضرب النواة وتعديلها ، وذلك بحسيمات المواد المشعة ، بل هذه الناحية الخاصة بإيجاد عناصر مشعة جديدة ، وهي البحوث التي أدت إلى عمل القبلة الذرية . هذه البحوث الخاصة بالهدم الذري ستؤدي بنا أيضاً إلى إيجاد نوع من المدنية يختلف كل اختلاف عن المدنية التي عهدناها . وإننا لنعتمد الآن بعد الذي أسلفت على معرفة العارى لبعض الأسس العامة الكبرى ومعرفة أن من بين المواد ما يشع من تلقاء ذاته ، وأن للذرة تركيباً حبيبيّاً في حركة دائمة ، فلها نواة وسطى مركبة من جسيمات عديدة ومتباينة ، وتدور بعيداً عن هذه النواة إلكترونات في مدارات مختلفة ، وهذه تدور حول نفسها .



لنمتقد فزياء هذا العنصر أن النواة تتركب من بروتونات موجبة الشحنة وترونات لا شحنة لها ، بحيث إننا لو تمكنا من زيادة عدد البروتونات في نواة

## الكتلة الذرية والعدم الذرة

معينة لحصلنا على نواة ذات كهربائية عالية ، وبالعكس إذا تمكنا من إضافة ترونات إلى النواة فتننا نزيد في كتلة هذه النواة ، دون أن نزيد في شحنتها الكهربائية ، كذلك يجوز زيادة كتلة النواة وشحنتها في آن واحد .

ولأسباب لا نعرفها حتى اليوم يتوقف اتزان الذرة أو ثبات نواتها دون تهديم فيها على نسبة عدد تروتناتها إلى بروتوناتها .

وقد لوحظ تساويهما في نواة العناصر الخفيفة . أما في العناصر الثقيلة فتريد الترونات عن البروتونات ، حتى إذا ما بلغت النسبة ثلاثة إلى اثنين لوحظ أن للعناصر صفات الإشعاع أي أنها تهديم من تلقاء ذاتها . ويلاحظ الشيء ذاته في العناصر التي لها نشاط إشعاعي متعمد أي صناعي ، وسأتى على ذكر هذه العناصر .

وعني ذلك يعتبر التمكن من زيادة عدد بروتونات أو ترونات النواة وحفظها حادثاً له أهميته . ولنفرض أننا أردنا القيام بهذه العملية ، وأن لدينا الوسائل الفيزيائية للحصول على قذائف بروتونية لقذف النواة . هنا نعود بخيال القارئ إلى الذرة وصغر نواتها بالنسبة للحيز الكبير الذي تشغله هي بما يحيط بها من كهارج ، ليعلم أن ضرب النواة أمر عسير .

وقد دلت التجارب كما أثبت الحساب أنه لا بد من ضرب مليون من البروتونات في المادة لكي يستقر واحد منها فقط في النواة .

ولعل القارئ يشعر معي بصعوبة مثل هذه العملية بل بصعوبة العمل في كل هذه البحوث التي تستلزم :

أولاً — وسيلة للحصول على القذائف بروتونات كانت وغيرها ، تستخدم في قذف النواة .

ثانياً — إمكان قذف هذه الجسيمات المتناهية في الصغر ، وهي من الضالة بحيث إن النسبة بين كتلتها وكتلة حبة من القول كالنسبة بين هذه الحبة والكرة الأرضية التي نعيش عليها .

ثالثاً — طريقة لوضع المادة المراد قذف نواتها .

رابعاً — اختراع الأجهزة التي تجمعنا نتعرف على ما حدث في هذه النواة المتناهية في الصغر . وإلى القارئ أمثلة مما نجح فيه العلماء .



استخدم « رذرفورد » منذ سنة ١٩١٦ جزءاً من أشعة الراديوم كقذائف نواة . ولقد كان معلوماً في ذلك الوقت أن قطعة من الراديوم تخرج منها جسيمات يسمونها « ألفا » هي نواة غاز الهيليوم ، وأخرى اسمها « بيتا » هي سيل من الإلكترونات ، وثالثة « جاما » هي إشعاع قصير الموجه . وقد استخدم « رذرفورد » الجسيمات « ألفا » ليقذف بها نواة المواد المختلفة ، ونجح في تحويل الأروت إلى «وكسيجين مثلاً ، وفي تجارب أخرى لرذرفورد ضرب الألومنيوم بجسيمات « ألفا » فتحول جزء منه إلى سيليسيوم وخرج من المجموعة بروتونات سريعة .

وبغض النظر عن أعمال « رذرفورد » فإيس المجال هنا مجال ذكر كل التحولات التي تحدث للألمونيوم ، فإبنا إذا قذفناه بـ « نوترونات تحول الألومنيوم إلى ملح الطعام مع خروج جسيمات الكترونية وظهور إشعاع « جاما » الخطير . وهذا ما فعله « فرمي » في إيطاليا ، وقد جاء ذكر هذا العالم كأحد مكتشف القنبلة الذرية ، وقد حضرت عليه شخصياً عند ما تزح إلى السوربون يحاضر علماءها عن بحوثه في سنة ١٩٣٤ .

على أني أذكر هنا ظاهرة ربما تكون أهم ما كشف في موضوع التهدم الذري وهي ظاهرة إمكان الحصول على عناصر تكتسب نشاطاً إشعاعياً صناعياً أي مؤقتاً ، وهي عناصر تظهر أثناء عممية التحولات ولم تكن نعرفها . وقد كشف هذه الظاهرة الجديدة « أبرين كيري » وقرينها « جوليو » من أساتذة سوربون ونالا على هذا الكشف جائزة نوبل سنة ١٩٣٣ .

ويتأخص بمحتمها في ضربهما للألمونيوم ووزنه الذري ٢٧ وعدد شحنات نواة فيه ١٣ بجسيمات « ألفا » ، ولاحظا أنه قد تكون ما سميها « راديو فوسفور » أي فوسفور ذو أجل مؤقت ، وزنه الذري ٣٠ وعدد شحنات نواته ١٥ ، وخرج من العملية أيضاً نوترونات سريعة .

على أن التهدم لم ينته بعد ، فإن هذا الفوسفور المؤقت يتهدم من جديد ( فهو مادة مشعة لم تكن موجودة ) وينتج عن تهدمه « سيليسيوم » وزنه الذري ٣٠ وعدد شحنات نواته ١٤ ، وهو ثابت هذه المرة أي لا يتهدم ، ويلاحظ خروج بوزيتونات سريعة من العملية .

وإلى القارئ نص الشرة العامة التي نالها من أجلها جائزة نوبل :  
 « يعرض الباحث صفيحة من الألومنيوم لجسيمات « ألفا » الآتية من  
 منبع قوى للبولونيوم بضع دقائق ، فيلاحظ عند سحب الصفيحة أنها اكتسبت  
 نشاطاً إشعاعياً ينقص إلى النصف بعد ثلاث دقائق .

وقد لاحظنا أن الجسيمات الخارجة هي « بوزيتونات » وأن القانون هو  
 قانون أسي ، وعلى هذا فنحن أمام مواد مشعة جديدة وإزاء نوع جديد من  
 النشاط الإشعاعي .

ولقد كان هذا من أعظم ما كشفه الإنسان إذ تمكن بعد ذلك لكل المعامل  
 التي لديها آلات لتجميع البروتونات السريعة ( آلات كبروستيكية ومحول  
 للضغط العالي أى جهاز السيكلترون ) تمكن هذه المعامل الحصول على مواد مشعة  
 جديدة ، حتى إنه قد توصل « لورانس » فى أمريكا لعمل صناعة فعلية لراديو  
 الصوديوم أى الحصول على ملح طعام يشع ، ويستمر إشعاعه ١٥ ساعة ، وذلك  
 بضرب الصوديوم بالديتونات ، وهى نواة الماء الثقيل ، الذى جاء ذكره فى القنبلة  
 الذرية ، والذى نحصل عليه بعملية فى « الأليكتروليس » صعبة ودويلة .

وبعد الذى ذكرت ، فانى أؤكد للقارئ أن الإنسان يستطيع اليوم أن  
 يحضر لنفسه ما يشاء من القذائف ، فهو يحضر البروتونات كما يريد ،  
 ويوجهها داخل المعمل حيث يريد ، كذلك يستطيع تحضير النيوتونات كما يشاء ،  
 وأكرر مقدرته على أن يوجهها حيث يشاء . كذلك أمكنه منذ زمن استخدام  
 الجسيمات « ألفا » و « شعة » « ج » فى القذف ، بل إن البوزيتونات النادرة فى  
 عالمنا الأرضى بات من الممكن توجيهها وفق إرادته .

وأكثر من هذا أنه استطاع أن يحاق مواد مشعة لم تكن موجودة . وكل  
 المتصاين بهذه العلوم يعلمون اليوم كيف استعاع « فرمى » وطلبته الحصول على  
 ستين نوعاً من هذه المواد لم تكن معروفة فى جدول عناصر الكون .



لعب اذن الإنسان بالذرة ، رآها « بكارل » تهدم ، هدمها « رذرفورد » ،  
 ضاغطها « كوبون » ، غيرها وطرد منها ما شاء وأسكن فيها ما شاء . يرين  
 وجوليو وفرمى . فاذا ذكرت لك الآن سيدى القارئ أنه عندما يتحد ، بفعل



هذه الحوادث ، في المادة بوزيترون واحد مع ألكترون واحد انعدما وخرج من المادة فوتونان اثنان من «شعة «جما» الخطيرة بطاقة قدرها نصف مليون فولت . فكيف تكون الحال إذا انعدم بالطريقة ذاتها ملايين الجرام من المادة أي واحد على ألف من الجرام ؟ وما مقدار الطاقة التي نحصل عليها ؟ لقد حاولت التدقيق في حسابها فبقيت أنها توارى عمل رجل وما يمكن أن يؤديه من جهد طول حياته ، بمعنى أن الجرام من المادة يوازي إذن عمل ألف رجل يشتغلون كل يوم مدة خمسين عاماً .



كنت قد نذكر لك اعتقادي فيما وصل إليه العلماء بالذات خاصاً بالقنبلة الذرية ، ونماي من مشاهداتي في معامل أوربا بل وفي أوراق وكتبي ، ما يسمح لي بأن ألقى على بساط البحث بعض الفروض ، ولكن سيكون لذلك موضع آخر . ومع ذلك فاني أظن أنهم شرعوا في زيادة عدد النيوترونات عن البروتونات الموجودة في نواة الهليوم حتى يكون أكثر قابلية للاشعاع والتهدم . هذا فرض طرأ على ذهني . وهذا فرض آخر أن يكون الباحثون يواصلوا إلى وسائل خير من التي نعرفها للحصول على بوزيترونات بغيرارة ، وإمكان فذفها في النواة بجهاز ما عند حدوث الانفجار ، بحيث إنها بأنحادها مع الإلكترونات تنشأ أشعة «جما» ذات الطاقة العظيمة .



إنما أعطيتا القارئ صورة أو اثنتين من مئات الصور التي يمكن للعلماء فيها أن يلعبوا بالنواة ، ولم أقص لك كل أنواع اللعب الممكنة ، ذلك أنني أردت أن أعطيك فكرة سريعة عما تكنه هذه النواة على صغرها من عظيم العجائب . والآن أعود بك مسرعاً إلى «هيروشيا» البائسة لاندخلها ، فإن في دخولها خطراً عليك وعلى نفسي ، ولكن لكي نتأمل معاً إلى أي حد تقضي المعرفة على الإنسان . ولعلك تدرك الآن مما تسمعه وتطالعه في الصحف عن الموتى الجدد كل يوم في هذا المكان التمس أن ثمة احتمالاً لوجود مواد مشعة جديدة لم تكن موجودة ، ونشأت هناك على طريقة «ايرين كيري» التي ذكرناها .

### القنبلة الذرية وانعدام الذرة

على أن ما يهم في هذا كله ، أن الانسان سينسحق الذرة والذوابة إما خيره  
أو شره . وإني أود غلصاً أن يكون استخدامه لها في سبيل الخير .  
عندئذ قد يتحقق ما ذكر بأساطير « ألف ليلة » ، وماصوره أيضاً خيال  
« ويلز » لأبطاله في كتبه الممتعة .

أما إذا استخدمها لشره على نطاق أوسع وبكملة للقنبلة أكبر وبوسائل  
لانعدام الذرة أعظم ، فسلام الله على هذا الكوكب الذي نعيش فيه .

دكتور محمد محمود ثعالى

## عيد أول إبريل

ماود الحب هــ سراه وتجنبت مقلتها  
وأدار الوهم خيراً داعبتها شفتاه  
عزف السُّمَّارُ عنها وتجاوى صاحباه  
وصحبا منها ولما تلمس الكاس يدها  
وهو في ليلة عرس

أشعل الشمع ففاض الـ شمعُ دمعاً ورثاه  
وجنى الزهر ففاضت روحه قبل شذاه  
عجب الناس وقالوا أين منه ما اشتباه ؟  
أمزاح أم خيال أم جنون ما اعتراه  
أى وهم ؟ أى حدس ؟

وأجال الطرف في الحفـ بل فلم يلف سواه  
خاب في ليل الأمانى من تمنى أن يراه  
وطوى الأقداح إلا قدما فيها عزاه  
هم بالكاس فزلت عندما أطبق فاه  
ومضت ليلة أمس ...

وترته في سكرة اللحد      من تداعى طرقة—اه  
 أن في كف المغنى      صوده الشاكي هواه  
 ود لو ينطق همسا      ضارعا حين احتواه  
 وانحنى يبكي عليه      ثاكلا فيه رجاء  
 آه لو جاد بهمس ا

زف في الفرحه حما      ومع الفجر طواه  
 وشدا الشاعر حنا      رجع الابل صداه  
 فرحة عادت نواحا      منيت فيها مناه  
 وجنين امسكته ال      بروح في الميلاد آه  
 كيف ياقلب التانى ؟

مزيد

## أدب القصة في الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب

لقد ظل صوت الشعب الروسى لا يسمع مدة ربع سنوات في غير البلاغات الرسمية التى لا يعرف كاتبها. أما الآن فقد أخذت السهات السوفيتية تطلعنا على الوجوه الحقيقية لاحتقائين في ميدان القتال وفي الأراضى المحتلة وفيما وراء ميدان القتال ، وغداً يستطيع كل إنسان أن يسمع صوت هذا الشعب حياً في مؤلفات كتّابه ؛ إذ أن أدب الروسى كله ، أو يكاد يكون كله ، في زمن الحرب ، من آداب الحروب .

كان في ميدان القتال تسعة من الكتّاب ، هل هم مراسلون حربيون ؟ إن هذا الوصف لا يعبر عنهم ، فهم كانوا يقاتلون مع الجنود ، ويعيشون وكثيراً ما يموتون معهم . هكذا حدث من بين كثيرين للكتاب « ا. بولياكوف » وهكذا حدث لتقصصى « يورى كايكوف » الذى نقلت عنه قصته الأولى « البخرة دربنت حاملة البترول » إلى الفرنسية ( سنة ١٩٣٨ ) وسقط قتيلًا في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤١ « بعد أن قاتل حتى النقطة الأخيرة من دماغه » . لقد قال ستالين : « إن الرجل المثقف يجب أن يكون رجلاً سياسيًا » . ومعنى هذه لكامة في تعبير أفلاطون « أن يكون عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية » .

وبما دهش الشعب الفرنسى لبعض الشئ لتعبئة الكتاب على هذه الصورة ؛ وهم سيتذكرون في اشتراز عادل أولئك الذين اتخذوا مرتين في هذا القرن دماء الآخرين وسيلة لإنشاء أدب بطولة له رواج في الأسواق . ولكن مما يسترعى النظر على العكس من ذلك في المؤلفات الروسية عن الحرب أن أبطال هذه المؤلفات ليسوا عادة أبطالاً ، ففيها مغامرات عجيبة . والمغامرات دائماً من طبيعة الحروب ، وسماعها مما يثير الشجاعة في النفوس ، ولكن فيها أيضاً قصص الجبن والبيانة والآلام والتعاسة ، وفيها أكثر من ذلك ما ليس عظيماً ولا حقيراً ، فيها الحياة ومضايقات الأيام والباس الذى لا يذكر اسمه ، والجندى الذى يذكر أنه

رجل . وقد قى كل هذا وسط القتال بل وسط الهزيمة أحياناً ؛ إذ أن ماهم ليس هو الأسطورة — فالأساطير تنمو من تلقاء نفسها — وإنما هو الحقيقة الصعبة . ظل الأدب الروسى حتى هذه الحرب متجهماً نحو دراسة واكتشاف الرجل الجدى الذى نشأ من أيام ثورة أكتوبر وُصب فى هذا القلب الجديد . وفى هذه « الحرب الوطنية الكبرى » كما يسمونها فى تلك البلاد تحول الرجل السوفى وخلق خلقاً جديداً إذا صح هذا التعبير . كيف انتقل من الكراهية الباردة لفساشية إلى الكراهية المجردة ثم إلى الاحتقار ثم إلى الاشتزاز ؟ وكيف تغلب على العدو وعلى نفسه ؟ هذا البحث باهتمام عن إجابات لهذه الأسئلة فضلاً عن مسائل عدة أخرى هو الاتجاه العام البارز فى الأدب الروسى فى زمن الحرب . فهو أدب لا يكتفى بمجرد قوال خطابية فى الوضعية المريعة ، بل ليس هو أدب قصص كبيرة بالبنى المفهوم ؛ فإست الساعة هى وقت الاتساق الواسع ، إن ماهم هو التسجيل . وهكذا نشرت مؤلفات مثل كتاب « أوريل » وكتاب « ستالينجراد » ولا يمكن أن يصل التخصص والابتكار إلى أبعد من ذلك . فى أول الكتاب نصوص رسمية : نداءات وأمر وبلاغات خاصة ثم رسائل من المقاتلين وصور وروايات تختلف من حيث القيمة الأدبية ؛ إذ أن بعضها موقع عليه بأسماء مجهولة أو غير معروفة ، وبعضها بأسماء مشاهير الكتاب ( إهرنبرج وتيخونوف وجورباتوف وجروسمان وفدييف . . . ) . وهذا مزيج قد يظهر مختلطاً فهل يبنى منه الأدب كثيراً ؟ ومع ذلك فعكس هذه النظرات المافذة كثيراً أو قليلاً وكل هذه الصور الملوثة كثيراً أو قليلاً ، أليست هى النظرة الشاملة للمجموع ، أليست هى الحقيقة ؟

لقد نشرت مقتطفات من مذكرات الطريق للضباط الألمان والجمود ، وجميع إهرنبرج فى مجموعته « مائة رسالة » خطابات تبادلها مع المقاتلين ، ووصف ١ . بوليانوف وكان معلماً سياسياً وأحيط بفرقة فى يونية سنة ١٩٤٢ — فى « مذكرة الطريق » كيف تمكنت فرقة من العودة إلى الاتصال بالخطوط الروسية . وهذه المذكرات التى نشرت تحت عنوان « فين وراء العدو » بعيدة عن أن تكون عملاً أدبياً لكاتب . فالأسلوب جاف وكثيراً ما تنقصه الألوان ولم يبذل جهداً فى تأليف المجموع ، ومع ذلك ليس من شك فى أنه كبير القيمة لأن لغته هى لغة الحقيقة ، ونحن نقرأ الكتاب فنقول « إنه كالحقة » .



إن من واجب الفرنسي أن يضع إلبا إهرنبرج في الصف الأول من كتاب السوفيت، لا لأنه أكبر الكتاب بل لأنه ظل أربع سنوات موضع سخط صحافة الألمانية التي تصدر بجميع اللغات بما فيها الفرنسية، ولأنه بينما الأصوات الرسمية والشعبية پارسية التي تزعم أنها فرنسية كانت تنهل عليه بالهانات وتبين عن طريقه روسيا السوفيتية بأسرها، أخذ يقوم بواجب خطير هو أن يسمع في بلاده صوت فرنسا الداهية. ولنا نستطيع أن نتكلم عن كتابه الذي ظهر عن «سقوط باريس» في بضعة أسطر، وفي ذلك خيانة له. وسيثير هذا الكتاب مناقشات، ونقداً فهو ليس بالكتاب الكامل ولكن أطن أنه ما من فرنسي يستطيع أن يتلو تلك القصة المؤلمة للسنوات المحزنة بين ١٩٣٥ و ١٩٤٠ دون أن يتأثر. وليس من حق أحد أن ينسى أن هذا الكتاب من وضع روسي. وكمن من الفرنسيين يستطيع أن يضع كتاباً مماثلاً عن روسيا السوفيتية بدل على الذكاء ونفاذ البصيرة؟ بل كم من الفرنسيين يستطيع أن يضع كتاباً مماثلاً عن فرنسا؟ إن فيه أخطاء في التفاصيل وشيئاً من التطويل في مواضع، وقد يعارض بعضه التفسير السياسي للحوادث، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر رنة الحقيقة في مجموعته وعمق الصور وصدقها، وهذا هو السبب في نجاح الكتاب بروسيا نجاحاً عظيماً. فقد تعلم منه الروس ألا يخلطوا بين فرنسا وتلك الشرذمة من الخونة المسئولة عمداً وعن غير عمد عن يولييه ١٩٤٠ وعن نظام فيشي، على أن ما يضايق القراء الفرنسيين إلى حد ما هو شيء من التناقض. فهذه القصة قائمة على حدود التاريخ ليست قصة تاريخية، والشخصيات «التاريخية» لم تذكر إلا على سبيل السرد وليس لها أي دور هام، ولكن المسيطرين على الحوادث فيها والصور «السياسية» التي درست في عناية ودقة إنما هي شخصيات من وضع الخيال مثل ثيار وتيرا وجرودل. وستظل هذه أمام الفرنسيين أشخاصاً غير حقيقية، وهم يحاولون البحث عن سر الشخصيات الحقيقية المختفية وراءها. وهل وراءها شيء حقيقه؟... إنها ليست إلا رمزاً وخلاصات حياتاً، والفرنسي لا يرتاح إلى هذه الصور المجردة.

لقد أخذ إهرنبرج في وضع تكملة «لسقوط باريس» هي «نصبة باريس»



على أنه كتب عدة مقالات وقصص صغيرة لاسيما مجموعة فرنسا سنة ١٩٤٣ ( وهو يقول إنه لم يغير في الوقائع غير الأسماء ) حيث رسم صوراً حقيقية وقوية لفرنسا الناهضة المنتصرة . وقد قال لك في مطلع سنة ١٩٤٥ « إنى لأنتنى ألا تنسى فرنسا مطلقاً » وإنا لنتنى أيضاً ألا تنسى مطلقاً ما عايناه من دين لاهرنبرج .



إن قراء كتابى « فوق نهر الون الهادى » و « إقاذ الأراغى البائرة » سيقبلون فى سرور على كتب ميشيل شولوكوف الجديدة ؛ فعله بحج أكثر من أى شخص آخر فى أن يرسم للجندى الأحمر صورة إنسانية فى كتاب « علم الكراهية » وهو ليس إلا قصة طويلة ، وبصفة خاصة فى مؤلفه « إنهم قالوا من أجل الوطن » وهو كتاب كبير لم تظهر منه غير مقتبسات فى عدة صحف ومجلات ؛ فهو يصف الجنود فى أيام الارتداد المؤلمة وهم فى أعمالهم اليومية الحربية . وهم بلاربى أبطال ، ولكنهم أيضاً جنود بسطاء كأمثالهم فى العالم ساخرون أحياناً وغاضبون على الضربات التى لا تنفهر إلا متأخرة أو الرماد والمدافع الذين يرمون إلى مسافات أبعد من خطوط العدو ، فهم رجال عاديون يصغون إذا ما هدا القتال إلى قطع الحجارة الرملية وهى تتساقط من جواب الخنادق فيكون لها رنين كأنها نوافيس غير منظورة ، ثم إلى صوت صرصور صغير ، ثم إلى تنهد عميق أشبه بالعزف على وتر غليظ من أوتار قيثارة ، ثم إلى صياح السمان المعروف يقطع السكون بمجزة .

وبإزاء هذه الصور « الفردية » المحددة للحرب نجد كتاباً مثل « أوريل لقسطنطين سيمونوف » ( الذى سوف نتكلم عنه عند الكلام عن الشعر ) يظهر لنا موقعة وهى فى أثناء سيرها . فالجنرال برايا بكنيكوف وهو من أبطال ستالينجراد ( وقد رقى هنالك ) يريد أن يؤلف فرقة من مقاتلى ستالينجراد وهو يلحق الحديثين دروس الدفاع الناجح العظيم ، فهو يريد أن يحلق « تقليداً لستالينجراد » يحذوه الناس ، وعلى مقربة من أوريل تقوم الموقعة ، فنحن لارزى غير شخص واحد هو الفرقة وكيف تعيش وكيف تقاى كما براها زعيمها ، وهى تعيش وتقاتل كأنما لها جسد مثل جسدنا . وهكذا يظل سير الموقعة واضحاً

حين الشخص العادي ، دقيقاً بل حياً وقد بعثت فيه الحياة الاجتماعية للفرقة . ونرى نظرة ممثلة في « لننجراد » لنقولاً تيخونوف وهو في شكل مذكرات يومية للمدينة من مايو سنة ١٩٤٢ إلى مايو سنة ١٩٤٣ وكل فصل منها عن شهر خاص ، ومجموع الكتاب يؤلف وجه المدينة بأسرها برماتها المنتخبين وأطفالها حامى البرد . ولقد عاش تيخونوف بالمدينة أثناء حصارها ووضع كتاباً أسماه « قصص لننجراد » وفيها وصف البطولة وغير البطولة وهي مع ذلك قصص مغررات فردية . أما في كتاب « لننجراد » فتلك قصة المدينة مجتمعة وهي نفور بوقوفها في وجه المذبح ، وهي مدينة بطرس الأكبر ، ثم مدينة ثورة أكتوبر وهي الآن أمام العاصفة مدينة لنين التي لا تقهر وفيها بين صور أخرى — في فصل لننجراد في مايو سنة ١٩٤٣ — صورة المدينة ينظر إليها من الخليج في ليلة من ليلى ضربها بالقنابل ، وتلك صفحات من العظمة والشعر لا يمكن نسيانها . كان يعيش ويكتب في لننجراد غير تيخونوف كاتب كبير هو أ . فدييف . ومما يسترعى النظر أنه إذا قلنا بين كتابات الشاهدين وجدنا الأعمال نفسها والوظائف نفسها ، لا سيما ذلك الفخر للتمسك بالدفاع وإعادة الحياة إلى مدينة منها الألمان محكوماً عليها بالموت . فكتاب فدييف المسمى « لننجراد في أيام الحصار » كتب في ربيع سنة ١٩٤٢ بعد الشتاء الأول الذي كثر فيه الثلج وزلت السكينة من الخبز للفرد إلى مائة وخمسين جراماً في اليوم . ويجب أن ننتظر قبل أن ندير هذه الصفحات من اليوميات المؤرخة بين أبريل ويوليه سنة ١٩٤٢ صفحات للاعتار . ولا ينبغي فدييف أن يشرك النساء والاطفال مع الرجال ولكن ما يفسر لعينيه ما يقومون به ، أكثر من أي شيء هو ما يشعر به الجميع من أن تلك المدينة دارهم الوحيدة العظيمة وأن السكان جميعاً يؤلفون أسرة كبيرة مشتركة .

وفي الجانب الآخر من روسيا كان هناك مدينة عظيمة موضع نصر عظيم : ستالينجراد ، لقد مر فيها سائر كبار الكتاب الروسين تقريباً وتركوا دراساتهم وقومهم ، ونشر محل كولبير بالفرنسية رواية قسطنطين سيمونوف المسماة « أيام ستالينجراد ولياليها » . وتجب قراءة هذا المؤلف فهو يقص قصة وحدة من وحدات الجيش عبرت نهر الفولغا لنجدة الذين يقاتلون في المدينة ، وما كادت تسلك في غسق الليل حتى اشركت في جحيم قتل الشوارع . وكان عليها أن تسترد

ثلاثة من الدور وتحفظ بها ، وقد هملت ، وضلت هذه الوحاة تصطبى هذا الجحيم أياماً وليلى ، وليس ما يخفف عن كاتب سايبوروف حتى ذلك الحب الذي ازدهر ازدهاراً غريباً بينه وبين « آليا » الممرضة ، ولم يؤد إلا لأن يعرف العاشقان الخوف . وفي ذات صباح سمع الدين تقوا في الحياة من تلك الوحدة شيئاً ! فنذ أربعة أيام كان قائدهم يستيقظ قبل ابتداء النهار ليستمع ويتأكد من أن « الشيء » قد بدأ ، وخيراً استطاع أن يتحدث في التليفون إلى كاتب سايبوروف ليسأله هل سمع هو أيضاً ، ويسأل سايبوروف بدوره رجاله ويصفى الجيش بأسره ويستمع ويفهم أن الجحيم انتهى لأن « الشيء » قد بدأ ، ولم تكدهم ساعة على استمرار هذا ، ولا يمكن أن تقدر الحياة بدون هذا الهزم العجيب المدافع »

أما فاسيلي جروسمان فهو أقرب إلى طريقة نقل بناء الصحف في كتابه « ستالينجراد » . وهو نقل للأبناء يباع حياً في البعد عن التعميق درجة البلاغات الرسمية كما في مقاله المسمى : إدارة الهجوع الأساسي ( أو محور الجحود الأساسي ) . فهذا المقال ليس إلا وقائع ورقاماً ولكن قصة المجهودات التي بذلها الألمان في نوفمبر سنة ١٩٤٢ لقصص على المدينة تصل في صورتها إلى قوة عجيبة ، وهي أكثر من أن تكون نموذجاً في عرض الخطط وإنما هي قصة مغامرة لم يعد للرجال فيها وجود سوى أنهم أفراد بل هي قصة القوى الهوجاء المجهولة التي تسير بالحرب . ولكن جروسمان يعرف كيف يحلل النفس الإنسانية في كتابه « الشعب خالد » مثلاً ولا سيما في قصته الجميلة « الحياة » يصف سبعة وعشرين جندياً أحيط بهم فالتجأوا إلى منجم في حوض الدونetz ، فأرسل الألمان شيخاً مع ثلاث نساء لإقناعهم بالخروج من المنجم وإلا انتقموا من المدينة ، فإذا الشيخ بقي في المنجم وكان قديماً من صمالة وغمرته السعادة للعودة إليه ، وهذا الشعور نحو المنجم هو شعور مضحك بعض الشيء ومؤثر للغاية في الوقت ذاته . وهو يقص أنه زار هذا المنجم عند عودته من الأسر في الحرب الأخرى قبل أن يزور امرأته لأنه كان يشعر بوحشة لا يقطعها عنه وهو يركب الآن إذ عاد إليه ثم يقذف اللاحثين إذ يكتشف مخرجاً لهم ولكنه لا يخرج معهم بل يجرد الموت في قاع هذا المنجم وهو موت يقبله في هدوء وغبطة بل في نثر لأنه أجمل ميتة كان يتمناها

كذلك نجد شخصيات مضحكة ومؤثرة في مجموعة ف. كوفرين المسميات «لم نعد كما كنا» مثل ذلك الجرحى التمس «لا سوف» الذي كان يموت من الضيق كثير من الجراح إذ لا يكتب إليه أحد رسائل. وفي ذات يوم تأتيه رسالة من محمول تتبعها رسائل فتعود إليه الرغبة في الشفاء ويشفي وهو يحلم بأن أتى ترأسه سيده كبيرة ومثله سيناء، فإذا انقطعت الرسائل فهم أن كاتبها هي «لوكا» المعرصة.

وحدث أن مرضت بدورها مرضاً شديداً خطيراً، وتعود ثانية فيعهد إليها في أن تكتب رداً على رسالة الأثرة الجوهولة، ويحمر وجه الاثنين ويسكنان، وفي المساء كان الحو صافياً، فخرج «فلا سوف» يبحث عن «لوكا» فيفاجئها وهي تكتب رسالة الوداع له فهما عاشقان إذن ولكن كلا منهما لا يعلم لماذا كان هذا الحب وكيف بولد. ونجد في المجموعة كلها مثل هذه الرفقة. وقدما سمح المؤلف لنفسه في نظرة صغيرة ساحرة (كما في قصة «قاب بسيط» وهو يكلم أيضاً عن التحمل بالناس تحت ضغط الحرب يتغيرون فهو إلى جانب تلك الإحساسات التي لا محل لها، بعض الشيء يصف رجالاً قتلت فيهم الحرب كل حساس أو رفعهم إلى أعلى من نفوسهم الصغيرة فهم نوع واحد؛ لأن كلا منهما لا يستطيع الحياة إلا من أجل أمر أكبر من حياتهم. فهو يصف هؤلاء البحارة الذين بقا لولن لكي ينقذوا صورة من رسم «تيزيان» وهؤلاء الطيارين الذين يواصلون بعد أن سقطوا في البحر وهم على خشبتهم من أجل الحياة لأنهم يعرفون أن الواجب يقضي ألا يموتوا إذ أمرت القيادة صراحة بأن يحرصوا على الحياة».

ولنذكر في نهاية هذا العرض القصص الأساسية للحرب، فنذكر ليو نيد سوبوليف الذي كتب «حياة البحارة» وليو نيد سولوفيف المراسل البحري في سياستوبول الذي رسم في بحارة البحر الأسود (١٩٤٢) وفي «يفان بكونين» البحار الروسي (سنة ١٩٣٤) صورة حياة المعيشة البحارة الروس في أثناء القتال

وطهر أخيراً كاتب شاب (وقد ظهر مرتين لأنه استحق لقب بطل الاتحاد السوفيتي) وهو جورج برزكو، فقسته: «الذهب احمر» تدل على ثبات في الرواية وقدرة على التحليل تسترعى النظر وتعلق آمالاً كباراً على مؤلفها.



أدب الحرب هي مجرد الوثائق الكبيرة أو الصغيرة بل هي أيضا الملاحم  
المحتلة والمصانع . ولم يهمل المؤلفون الروس في رسم هذين الوجهين من وجوه  
الحرب وهما ربما كانا أقل روعة ، ولكنهما لا يقلان تأثيراً .

ولقد أدت السينما إلى أن عرف العالم قصة فاندا فاسيلفسكا الرائعة المسماة  
« قوس المطر » فليس من أحد شاهد هذه القصة يستطيع أن ينسى مأساة تلك  
القرية الصغيرة المحتلة . فهذه القرية إن هي إلا صورة مدغرة لجميع بلاد روسيا  
المحتلة . وإنى لأعرف ما يمكن أن يوجه إلها من نقصد إذ يتدل أن القصة كاملة  
أكثر مما يجب ، فهي إذا بعيدة عن الحقيقة ظاهرة التعامل ولكن لا الأشخاص  
ولا الوقائع هي مجرد رموز ، ولنتذكر : لم يكن الحال مثل ذلك في فرنسا ؟ ألم  
نعرف فرنسا تلك الأم المعذبة وطفاتها المرحقين ورهائنها بل هذه العمدة الخائن  
المتجبر أمام مواطنيه والضعيف الباكي أمام محاكميه . وذلك الألمانى الذى يقتل  
طفاله ويكتب رسائل حب لزوجته بينما هو يحونها مع فتاة يحقرها ؟ ألم يعرف  
الفرنسيون تلك الكراهية وتلك المناعب وتلك الحماصة التى عرفها الروس ؟  
أليست هذه هي الحقيقة نفسها .

أما الصورة التى يرسمها بوريس جورباتوف في روايته « الذين لا يتقنون »  
فهي أكثر كلاً فهي صورة الجيش المرتد يحترق القرية ثم القرية في يد العدو  
وإجبار الكهول على العمل وهرب الابن الأسير الذى لا يريد « ناراس » الشيخ  
أن يعترف بأنه ابنه إذ فضل التسليم على الموت ولا سيما أولئك الكهول والنساء  
الذين حملوا على عربات اليد كل مالههم وما يملكون وهم يسرون بلا انتقام  
نحو الأراضي التى لم يجتاحها العدو ليستطيعوا مبادلة ماعوزهم بشيء من الطعام .  
ولقد تركت أم وهي تهجر أبناءها قليلاً من البطاطس بعد أن قسمتها بينهم قسمة  
متساوية ، وفي كل يوم تحسب الأم حساب ما تبقى وفي يوم دل الحساب بأنهبقى  
لهم نصف المئونة وهي تعود إليهم خاوية اليدين أما رفاقها فلا يقولون شيئاً ولا  
يحاولون منعها بل يتابعون السير وهم على عقيدتهم في الأرض المباركة . وهكذا  
يقابل الشيخ « ناراس » ابنه الشائى وهو مكلف بمهمة وراء خطوط العدو

١ ويكون سرور الشيخ عطيا إذ يعلم أن الجيش الأحمر لا يزال قائماً وهو يقاوم  
مبدأ نحو الشرق فهو إذن سليم ، ويقفل تاراس عائداً إلى قريته ليجد منزله  
وقد نهب وابنته وقد شقت ولكن عقيدته لا تتناقص فهو من فريق  
الذين لا يتقنون ، وهذا ما يجعل القصة غير حاققة ، تلك العقيدة وذات  
الآيمان اثبات الذي يقوم في وجه الحقائق ثم حيناً عدم الاهتمام المعجب  
وذلك النسيان المدهش حين نسمع نغمة عرف ، الأكورديون « وسط أسوأ  
المواقف .

ما القصص عن « ميدان القتال في المصانع » فليس فيها تجديد كبير في  
أدب الرواية وهي تشمل قصص المصانع وقصص العمل التي ظهر مثاليها في  
أدب السوفييتي في قصة « الصاب المسقى » لقولا وستروفسكي وفي « دون  
ن استرد نفسه » وهي لأيليا إهربرج ، فهي ترسم صورة الرجل الذي تريد  
روسيا الجديدة أن تخلقه وهو قادر على أن يعيش من أجل العظمة الصناعية  
للإتحاد السوفييتي كما يعيش بعض الناس من أجل حب كبير أو عمل حربي عظيم .  
ورواية مارينا ساحين المسماة « مجهودات الحرب في الأورال » وأنا كارافيون  
« سادة العمل الستاليني » ونايان ريباك « الأسلحة معنا » واركادي  
ريتر « التجربة » كلها ترمي إلى هذا ، والآخر قصة مصنع للطائرات في  
أوكرين ، أشتي في أثناء مشروعات الخمس سنوات وكان من الواجب نقله إلى  
شرق . ولهذا المصنع ذهب رئيس المهندسين « دوسكو » حياته ، فهو ابن عامل  
اربع في سدة الحياة بمجهوده وهذا المصنع مصنعه وكل طيارة مخرجه هي جزء  
منه كما لو كانت شعراً أو صورة . والمصنع الآن هو تحت نار القنابل ويجب فك  
الآلات لفتحها قطعة قطعة . وعرف دوسكو « تجربة الهدم المرة » وقد تقلصت  
من نفسه في ذلك الوقت غريزة الإبقاء ، وكذلك حزن العمل على هدم آلائهم  
ورك مقصباتهم ولا يستطيع أحد « كومنكو » أن يعتمد على مصنعه ( إذ  
أن له في العالم غيره بعد أن أهدت أسرته ) ويموت في المصنع عندما يدمر  
، لا يمكن نقله من بنيانه وآلائه ثم يكون وصف « الأورال » والمصنع الحديد  
ورملاء الجديدين الذين يتجمعون في البيوت كي يذهبوا مكاناً للمهاجرين ، فيل  
عند المصنع جديد ؟ لا ، إنه المصنع نفسه فيه الخامسة ذاتها والرجال أنفسهم  
والمجهود الكبير للإنشاء والحرب .

### أحب القصة في الاتحاد السوفيتي

فستطيع أن نهنأ أكتافنا إنها قصة ننتهي نهاية حسنة ، قصة دعابة ، بلا ريب  
ولكنها قصة جيدة ، قصة تفاؤل وإيمان ، وقد قام مؤلفها عند كتابتها بواجبه  
كمقاس — لما أن نقول ذلك ولكن المواقف أيدها فيما ذهب إليه .

منه برنارد ماركيه

قلها عن مجلة «بارو» الفرنسية حسن محمود



## بريطانيا العظمى والشرق الأدنى

لا في الكتاب بحدود حين يقول إن حطيرة نصلات من بريطانيا العظمى  
والشرق الأدنى إنما أخذت تظهر وتشتد في الأعوام الأخيرة من القرن الثامن  
عشر ، حين عظم الخلاف بين فرنسا النائرة المهددة وبريطانيا العظمى المعتدلة  
لحافضه ، وحين اعتزم نابرت أن يقطع على البريطانيين طريقهم إلى الهند وغار  
في مصر ، وهم أن يغير في الشرق الأدنى كله ، ثم أدركه الإخفاق ، فعاد إلى  
فرنسا وترك جيشه لدى لم يلبث أن صاح خصومه وعاد هو أيضاً إلى وطنه  
النائر المضطرب .

منذ ذلك الوقت أصبح الشرق الأدنى ميداناً لتنافس بين الدولتين  
الغريبتين . ولكن مؤثرات مختلفة دعت إلى أن يكتب موز السياسي  
والاقتصادي والعسكري أيضاً لبريطانيا العظمى في هذا الميدان . فقد شغلت  
فرنسا بشؤونها الداخلية من جهة وشؤون أوروبا من جهة أخرى معظم القرن  
التاسع عشر ، فمات فيها الامبراطورة الأولى وما شابه نابليون من الحروب ،  
وانتهت بالكارثة إلى رسات نابليون إلى سانت هيلين ، وأحصت فرنسا  
لاحتلال المنتصرين . ثم جعل الصراع بين الثورة الفرنسية والباطل القديم يأخذ  
شكلا مختلفا المعروفة ، حتى نشأت الجمهورية الثانية ، ثم الامبراطورية  
ثالثة ، ثم كانت الحرب مع روسيا ، ثم كانت الهزيمة واحتلال الألمان لفرنسا ،  
ثم كانت الجمهورية الثالثة ، وانحى الفرنسيون إلى إنشاء امبراطوريتهم في أفريقيا  
وسيا . ولكنهم في كل هذه الفترة لم يحصموا البريطانيين في شؤون الشرق  
الأدنى إلا قليلا ، كما أنهم لم يعمدوا في هذه الشؤون إلا قليلا .

وفي أثناء هذه الفترة أيضا تطور الشرق الأدنى نفسه تطوراً داخلياً خطيراً ،  
فمنه حنصه الفرنسيين والبريطانيين من حوله واتخذ موضوعاً للنزاع ؛  
فندت الدولة المصرية ، وكان من لصراع بينها وبين لترك ما زاد نقطة الشرق

الأدنى قوة وبأساً ، وجعله عصباً سياسياً فعلا في الخصومة بين الفرنسيين والبريطانيين .

وليس من شك في أن سياسة محمد علي الكبير كانت ناملا بعيد الأثر في خصومة الدولتين الغريتين . وليس هنا موضع التفصيل للتنافس البريطاني الفرنسي وتأثير الشرق الأدنى نفسه في هذا التنافس . ولكننا نستطيع أن نلاحظ أن الصلة بين بريطانيا العظمى والشرق الأدنى قد مرت بطوار مختلفة منذ أعر بوبرت حتى مصر إلى الآن . وكان مظهر رئيسي لعظمى في الطور الأول من هذه الأطوار مظهر الصديق للدولة العثمانية للحفاظ على سلامتها لدى يربد أن يرد عنها عدوان الفرنسيين . ثم كان مظهرها في الوقت نفسه مظهر الصديق لشرق ومصر خاصة ، فهو قد أعان على تحرير مصر من الاحتلال الفرنسي ومهد بذلك لإشياء الدولة المصرية الحديثة . ولأمر ما لم ينق مصر نصيب في أحضان هذا الصديق الحميم المعين ، وإنما ظلت متجهة إلى فرنسا تستعينها حتى ما أخذت به من أساليب الحضارة الحديثة ؛ فقد كان اعتماد محمد علي الكبير وخلفائه على الفرنسيين في شؤون الحرب والري والصناعة والزراعة واضح من أن يحتج إلى بيان . وانهى هذا كله بما كان من إنشاء قناة السويس ، وبما كان من احتيال البريطانيين حتى طفروا بنصيب من سهم هذه القناة وصبحوا يستطيعون أن يقولوا كلمتهم في شؤون هذه الشركة .

والظاهر أن ظروف الشرق الأدنى وبشاط الفرنسيين وفنور المصريين في المقرب إلى الانحلال واختلاط الشؤون المالية في مصر ، كل ذلك قد أعان على انمضاء الطور الأول من أطوار الصلة بين الشرق الأدنى وبريطانيا العظمى ، وهو طور المودد من بعيد والمحافظة على مصالح الانحلال في حزم وعزم وثمّة ، ولكن في ثاة وتحفظ واحتياط . حتى إذا جد الجد وأصبحت مصر بعد احتقار القناة وتقريب المسافة بين الشرق والغرب نقطة الخطر الحساسة في طريق الإمبراطورية البريطانية ، رأينا الإنجليز يذمزون نمرض حيناً ويحلقونها أحيانا ، حتى إذا انتهت الفرصة أغاروا على مصر ليقمعوا الثورة فيها وبردوا الأمن إلى نصابه ، ثم ليعودوا بعد ذلك من حيث أقبلوا . ولكنهم قمعوا الثورة وأقروا الأمن وأعجبهم الجو فقاموا ومارالوا مقيمين إلى الآن .

وكذلك بدأ الطور الثاني من أطوار الصلة بين البريطانيين والشرق الأدنى

في هذا العصر الحديث ، هذا الطور الذي يمتاز بالتدخل المباشر في شؤن الشؤون المصرية و بمراقبة شؤون البلاد الشرقية العربية الأخرى من قرب . حتى إذا كانت الحرب العالمية الأولى تظهر للإنجليز و جاراتهم أن بريطانيا العظمى قد عرفت كيف تحتاط لمستقبلها و أحسنت استهاز الفرصة ؛ فقد سيطرت أثناء الحرب على طرق المواصلات الإمبراطورية و ضمت وسائل نقل الجند و المؤونة ، و ساهمت بذلك أعظم مساهمة في كسب الحرب و تحقيق النصر .

وفي هذا الطور كان التدخل البريطاني في الشؤون المصرية خاصة و لشرقية عامة قد أخذ يغير قلوب الشرقيين و ميولهم نحو الإنجليز و نحو الفرنسيين جميعاً . فلم تكن بريطانيا العظمى في هذا الطور هي الصديق الذي ينظر من بعيد و يظهر الاستعداد للمعونة و التأييد حين يحتاج الشرق إلى المعونة و التأييد ، وإنما كانت خصماً معتدياً يحتل قلب الشرق الأدنى و يتحكم فيه و يتهدد أعراسه ليهبط سلطانه على البلاد المجاورة . و أخذت فرنسا مكان بريطانيا العظمى ، فصبحت صديقة حمداً ليس له مطمع سياسي ، لا يحتل رضاء ولا يتدخل في شؤون الحكم ، وإنما يظهر العطف و يلوّح بالتأييد . و جعل المصريون و شوقيون يخاصمون بريطانيا العظمى خصاماً مختلف قوة وضعفاً باختلاف ظروف . و يستعينون في هذا الحسام بعطف الصحف الفرنسية و تأييد الكتّاب مراسمين ، حتى بعد أن تم الاتفاق المؤدي بين الدولتين في أول هذا القرن . ولكن الحرب العالمية الأولى ختمت هذا الطور و أثبتت طوراً ثانياً ماضية بين بريطانيا العظمى و الشرق الأدنى بحكماً أن لسميه طور العطف . بدأه بريطانيا العظمى بإعلان الحماية على مصر في أواخر سنة ١٩١٤ ، ثم استمر بعد الحرب يأخذ أشكالاً مختلفة من العنف و اللين ، و من القرب و البعد ، ولكنه يمتاز بشيئين خطيرين : أولهما أن سلطان بريطانيا العظمى الفعلي قد عظم و اتسع ، ففرض الاستبداد البريطاني على فلسطين و شرق الأردن و العراق . وكذلك لم تنق بريطانيا العظمى خصماً لمصر وحدها ، وإنما أصبحت خصماً لأقطار مختلفة من أقطار الشرق العربي .

الثاني أن فرنسا لم تحتفظ بموقف الصديق الذي يعطف من بعيد دون أن يستثنى منفعة أو يحقق مأرباً ، وإنما شاركت في الغنيمة ففرصت استبدادها على سوريا و لبنان . و جعل الشرق العربي ينظر إلى الدولتين الغربيتين نظرة متفكرية ، يرى فيهما خصماً

قد اعتدى على حريته وحال بينه وبين ما كان يطمح إليه وبطمع فيه من الاستقلال. وهما ظهر التفوق البريطاني ومهارة السياسة البريطانيين في سياسة الأمور الخارجية. جعلت بريطانيا العظمى تعالج مشكلات الشرق العربي عنيفة مرة رقيقة مرة أخرى، ولكنها صابرة ومصابرة دائماً، حتى خضعت هذه التطور الثالث بكل شيء من هذه الجزئيات حلاً جريئاً، وألفت حمايتها على مصر أولاً، ثم مارالت تداور وتداول حتى انتهت بعد حطوب كثيرة إلى إمضاء المعاهدة البريطانية المصرية سنة ١٩٣٦، وألفت الانتداب في العراق وعقدت معه معاهدة أيضاً، ولم تحتفظ بالانتداب إلا في فلسطين وشرق الأردن. وفي أثناء ذلك كانت فرنسا تصطرب في سياستها الشرقية اضطراباً خفيفاً أقل مما يوصف به أنه لم يكن حازماً ولا عارماً ولا محلياً. جعلت فرنسا تقدم رحلاً وتؤخر أخرى، تفرق لتسود، وتسود لتفرق، تطهر الإسماع حينئذ ثم لا تلبث أن تعود إلى الأفق الضيق العنيف، تعرض المعاهدة ثم لا تلبث أن رفضها. وبذلك فقدت السياسة الفرنسية ثقة الشرق العربي بها واسمائها، وكسبت سوء الفهم بها وشدة الشك في صدق نياتها.

وقبلت الحرب العالمية الثانية، فإذا بريطانيا العظمى مضطربة إلى الشرق العربي، وإذا الشرق العربي مطمئن إليهما قد رصته بعض الرضا وأطمعته في الرضا الكامل متى وضعت الحرب أوزارها. وكان الحسب الصلة بين الشرق العربي وبريطانيا العظمى أثر غير قليل في الاحتفاظ لفرنسا بمكانها في هذا الشرق. وقد كانت فرنسا حليفه لبريطانيا العظمى، ووفت بريطانيا العظمى لحليفها بعد المحنة وفاء لا شك فيه، كما وفي الجبال دي جول وصحابه للحليفة العظيمة وفاء لا شك فيه أيضاً. واستطاع الحلفاء البريطانيون والفرنسيون أن يطردوا المفوض المحوري مع السلطان الفيشي من سوريا ولبنان. وعاش الشرق العربي كله على الوعود والأمان من جهة، وعلى الثقة بتحقيق الوعود والأمان من جهة أخرى متى وضعت الحرب أوزارها. وودى الشرق العربي تمتعاً غالياً جداً عاش عليه من الثقة والوعود والأمان، فضحى بكثير من مرافقه، وأعان بكثير من جهوده، واتخذ المحور لنفسه عدواً وعاملاً كما يعامل الأعداء، واكتأب وانتأس حين كانت الدوائر تدور على الحلفاء، واغتبط وابتهج حين استوثق لهم الأمر وتم لهم هذا النصر العظيم.

وإن انتهى هذا الطور، وبدى بانتهاء الحرب الثانية طور جديد تضمره  
 لأمة ولم يكشف عنه الغيب بعد. أيكون طور وئام وسلام وتعاون، أم يكون  
 طور صراع وخساسة واحلاف؟ جواب هذا السؤال عند البريطانيين أنفسهم؛  
 وهم يعلمون حق العلم أن الشرق العربي ما زال لهم مكبراً وبهم واثقاً وعليهم  
 مسؤول. وهم يعلمون أن الشرق العربي قد عرفهم أكثر مما عرف غيرهم، وألف  
 معاون معهم أكثر مما ألفه مع غيرهم. وهم يعلمون حق العلم أن الشرق العربي  
 لا يضر لهم شيئاً ولا يكيد لهم كيداً، ولا يحب شيئاً كما يحب تنظيم الصلة بينه  
 وبينهم على أساس من تبادل النود والثقة والمنافع القريبة والمعدة. ولكنهم  
 يعلمون في الوقت نفسه حق العلم أن طبيعة الشرق العربي قد استردت صفاءها  
 صديق وفضاءه لدى نعمت به في وقت من الأوقات، وأن نفس الشرق العربي قد  
 استيقظت من نومها ونشطت بعد فتور، واستردت شعورها بتقديم في العزة  
 وسكرامة، وصححت لانطمس لأن تكون تابعة، ولا ترضى بأن تكون مسودة  
 ولا تستقر إلا إذا طفرت بحقها الكامل في الحرية والكرامة والاستقلال،  
 ونصبها الكامل من العدل السياسي الدولي، لتفرغ لتحقيق العدل السياسي  
 والاجتماعي في داخل قطارها. وليس بينها وبين غايتها هذه الكريمة إلا عقبة  
 واحدة، هي أن تفهم بريطانيا العظمى وتفهم معها حلفاؤها أن قيم الأشياء لم  
 تتغير بالقياس إلى الغرب وحده ولا بالقياس إلى الأقوياء وحده، وإنما تغيرت  
 بالقياس إلى العالم المتحضر كله، وأن ثم الشرق العربي قد انتهت من الرشد  
 السياسي والثقة بالنفس والاعتماد على الجهد الخاص إلى حيث لا يستطيع أن تفهم  
 حياة سياسية لا تحقق لها حريتها واستقلالها.

وقد كان ضم الاحتلال والتسلط لسياسي شيئاً يمكن الاعتذار عنه قبل  
 الحرب الماضية وبين الحربين، فأما الآن وقد تقرر نظام الأمن الاجتماعي،  
 وبحث الأمم المتحدة كلها ضامة لاستقلال الأمم المتحدة كلها، فلم يبق  
 للاحتلال ولا لسياسة التسلط معنى يمكن فهمه أو الاعتذار عنه. والخطر كل  
 الخطر أن يحتفظ المتصرون بتلك العقلية التي كانت تخيل إليهم فيما مضى أن من  
 الممكن بذل الوعود والنكول في التنفيذ؛ فقد أصبح هذا النوع من المزاح  
 السياسي غير سائغ ولا محتمل.

وبريطانيا العظمى مصالح اقتصادية وثقافية هائلة في جميع أقطار الأرض

وفي قطار الشرق العربي خاصة . وحسن وسيلة للمحافظة على هذه المصالح وتنميتها إنما هي الثقة المتبادلة والتعاون الصادق . وعقيد أن من الممكن بل من الخير بل من اليسير جداً أن تبلغ بريطانيا العظمى بالثقة والمودة والاحترام المتبادل من تحقيق هذه المصالح وتنميتها كل ما تريد .

وما أشك في أن الشرق العربي كله لا يتسنى شيئاً كما تمنى أن تنفي المشكلات السياسية بينه وبين الغرب عامة ، وبين بريطانيا خاصة ، وأن يستأنف عهد جديد تستقل فيه الأوطان العربية استقلالاً كاملاً صحيحاً ، وتعمل فيه مع الأمم الغربية ، وفي مقدمتها بريطانيا العظمى ، على رقيه الحضارة الإنسانية ونقوبة الصلات الثقافية ، وتعمية التبادل الاقتصادي ، وتحقيق هذا التعاون الخصب الذي ينتج للناس نفعاً وسهلاً ومناً ، ويخيمهم حطار المنافسة الذي يقوم على الأثرة والمكيد والمكر وسوء النية .

ولتحقيق هذه لغية العليا ، يجب أن نخطو بريطانيا العظمى خطوة حارمة حريئة . وكل شيء يدل على أن الشعب البريطاني يود أن يخطو هذه الخطوة . ويجب بين ثم الشرق العربي وبين حقها الكامل في الاستقلال ، وينبغي هذه المشكلات التي إن دل تقاؤها على شيء فأنما يدل على أن العرب لم ينتفع ، أو لا يريد أن ينتفع ، بهذه الدروس لقاسية التي لقتها الحرب العالمية الأولى . والحرب لعلمه الثانية على الناس . وويل للناس إذا قدمت إليهم الموعظة ، ولم يمعطوا ، وأهديت إليهم العبرة فلم يحسنوا الاعتبار .

## من وراء البحار

### فرنسا بعد أن وجدت العالم ووجدتها

أثرت فرنسا كما تشير دائماً ، الكثير من الألف ل ، لا سيما بعد تحريرها ثم  
مداستها الحرب الأوربية . وبعد نشر مجلات الأدبية والاجتماعية مخوناً  
كثرة في وصف ما تحملته هذه الدولة الكبرى من آلام ، وفي حالها الآن  
وما يستلزمها من مستقبل . وقد رأيت ، أن تقس ثلاث صور مختلفة ، تلخص  
قوال ثلاثة من الكتب نشرت في مجلات فرنسية والمجارية وأمريكية . ولها  
مقال قيم الأديب الفرنسي بول سارتر نشر في مجلة « فرانس-أوران » وهو عن  
مبدأ الاحتمال . ولشفي خلاصة مقال السيدة كوارد شر في مجلة « هورايزن »  
الانجليزية . وهي تصف فرنسا بعد التحرير . وثالث بحث بقلم المؤرخ الاجتماعي  
أندريه سيغفريد نشر في مجلة « الأمور الخارجية » لأمريكية ، وكان حديثاً  
بالنقل يا كلة .

### فرنسا تحت الاحتلال

يقول الادب سارتر : ان الانجليز و الأمريكان عندما وصلوا إلى باريس دهشوا  
بوحدها أهلها أقل مما كانوا يظنون ، ورأوا شيئاً جميلاً تبدو عليها الجودة ،  
ولم يقابروا إلا نادراً تلك الصفرة التي تدل على الحرمان . وكثيراً ما يتقلب الحمان  
مخدوع إلى حقد ، ويخشى أن يكونوا قد غضبوا الآن حالة الفرنسيين لم تطبق  
على الصورة التي كانوا قد تصوروها . ولعل بعضهم طس أن الهزيمة كانت نعمة وأن  
فرنسا يجب أن تعتبر الهزيمة فرصة تقدمتها من شرور ، كما شكرته غير جريده  
الانجليزية .



أجل إن الانجليز ذاقوا من ألوان الحرب أكثر من فرنسيين ، فهم عرفوا  
غسابل الطائرة والخسائر الجسيمة في أرواح المدنيين ، وشاطروا الفرنسيين  
في ألوان من الحرمان تجربها الحرب ، مثل الحرمان الخفي ، ونزول مستوى  
المعيشة للطبقات ، وانتشار مرض السل . ولكن هناك أنواعا من المحن لا تعرفها  
غير البلاد المحتلة .

يجب أن نفهم قبل كل شيء أن الألمان لم يكونوا يسرون في الشوارع  
والسلاح في قبضتهم ، ولم يكونوا يطلبون إلى المدنيين أن يتركوا لهم أماكنهم  
وأن يفسحوا لهم الطريق ، بل لقد كانوا يقدمون مقاعد في « المترو » للنساء .  
ومع ذلك كان هناك عدو من أبغض الأعداء إلى الفرنسيين ، ولكن هذا  
العدو ليس له وجه ، أو حتى الأقل إن وأنتك الذن روا وجهه فما تمسكوا من  
العودة ليصفوه . وهذا العدو يحتطف في أنظمة خير الرجال ويخص بهم . فإنا  
نذهب لزيارة صديق أو نحاول الاتصال به بالتليفون فلا نجده ، وكل ما نعرفه  
فيما بعده وجدته آثار ألمانيين زارده بالليل ونحدثوا إليه ثم حموه إلى حيث  
لا تدرى .

الواقع أن الفرنسيين كانوا يشعرون في حياتهم اليومية أن لصلة انقطعت بينهم  
وبين الماضي ، وأن نظام حياتهم قد تغير . والواقع أن باريس كانت مدينة ميتة  
لا سيارات ولا مارة ، وأن الناس فيها - إلا في أوقات معلومة وفي أحياء معلومة -  
يمشون بين الأحجار . وقد زحفت إلى المدينة في أطرافها روح الريف ، وبدأت  
شوارعها فسيحة والمسافات فيها بعيدة إذ خلت من أهلها .

لقد ظل الفرنسيون مدة أربع سنوات في ميزان الأقدار . يظهر الانجليز  
في الراديو والصحف الصداقة لهم ، ولكن كان من العبث أن يعتقدوا أن  
الانجليز كانوا عندئذ يقاتلون من أجلهم ، بل هم عامل من الأغراض العديدة التي  
يقاتلون من أجلها . أما الألمان فكانوا سي أحسن الفروض يعملون على ضم تلك  
البلاد لاكتلة الأوربية . أعد صار الفرنسيون مثل آنية الزهور التي بوضع على  
النافذة بالنهار وتنقل إلى داخل الغرفة بالليل دون أن تسأل عن رأيها .

هكذا صار الفرنسيون بلا مستقبل ، يعيشون ليومهم والعمل يعملون  
ليومهم ، فقد يقف التيار غداً ، وغداً تقطع ألمانيا المواد الأولية أو تقرر بنهم  
إلى بافاريا أو إلى جهة أخرى من الجهات النائية .

## فرنسا بعد التحرير

وودعت السيدة ماسي كورارد، في الرسالة التي بعثت من باريس إلى شحله هورارن، شموورها عندما وضعت أرض هذه العاصمة بعد غيبه خمس سنوات، وهي التي كانت تحذر فرنسا مقاماً وقد قصت عشرين عاماً من حياتها في باريس تعمل في الصحافة وهي تقول: «كنت أسير وحدي (ولم أقطع عن السير منذ ذلك الوقت) في ميادين الشارليريه ومنها إلى تلك الشوارع الواسعة المعروفة بالحران بولفار حتى صلت إلى بناء لمورصه... وكنت في أثناء هذا سير الذي أقوم به لأصل فرنسا فيجد نظري كل ما يمكن تسجيله. وقد دهشني ثلاثة أمور في الحال: تلك التجمعات التي تصعب للنساء فوق رؤوسهن، وتلك الأحذية عجينة لأشكال ذات كعبوط الحشمة، وتلك أرجال المعجبون الذين يعمدون بدن سيارات الدكسي وهم يسوقون مركبات على دراجات ودراجات ذات محرك وهذه المركبات من الخشب أو المعدن أو الخصر أو كل ما يتسع لشخصين ويكون حديقاً في ثقله. وتقدّم الالمان للفرنسيات معقبين على هذه التجمعات... ماذا تفعل لو أنك انتصرت في الحرب؟». ومن أسهل أن تفهم كيف أن هذه التجمعات الكبيرة التي هي أحياناً عمائم حمراء ظهرت في عالم الري أن افترض... مع الرأس في وجهه، الألماني علامة على أن الروح لم تنكسر. أما عن المركبات والتجمعات فيقول الناس: إن هذا لطيف، ولكن استعير رجال أوروبي وهم يكسبون تقوداً كثيرة».

في الشوارع الكبيرة «حران بولفار» فهي مليئة بالناس، والحيوانات تترك محتوياتها، والصحف (على أنها الأسف في صفحة واحدة) تباع فيها وتطل سموات مفتوحة إلى الساعة الثامنة أو التاسعة وتغلق بعض منها يوماً أو يومين في الأسبوع. وتباع فيه مائة نعم ذهبية على أنها جعة. ويوجد كونيكا مقبول ويوجد مشروب لقهوة الوطنية. وهذا يكلف ست أو عشر مرات أو عشرة مرة بالنسبة للنوع الأصلي منها».

وتحدثت السيدة عن الكتب التي يقرأ عليها الفرنسيون فذكرت كتاباً لول فاليري عن برجسون الفيلسوف وقصة اسمها «أوريبيان» وذكرت

إقبال الناس على مؤلفات سارتر وكاميس، وتنبأت بما ينتظر محبي الآداب والفنون في القريب لعاجل عند عودة الحياة إلى طبيعتها في العاصمة الفرنسية .  
ونكلمت عن المجتمعات الفرنسية في الضفة اليسرى من السين وذكرت قهوتي « دى ماحو، وفورى » وقالت إن الأخيرة كانت معقلاً أدبياً أمام الألمان حتى إنهم كانوا يترددون في الدخول إليها وهي الآن مركز للانساج الأدبي . ويجلس سارتر فيها وهو يكتب طويلاً عند ما يكون في باريس . وهي تضم مدرسة في الأدب مؤلفة من جماعات المقاومة ، وكأبها واحدة في وسط الصعوبات لعددة للحياة اليومية ، وهي الطعام والمقل وعدم وجود وقت لتدبير أمور المعيشة على أن باريس بالرغم من ذلك هي باريس ، لم تقسمها القمالي إلا في بعض الضواحي حيث التحراب شديد . أما وسط المدينة فهو يبق مئىء بالنشاط من الحياة حتى بالروايات المسرحية القديمة والحديثة ودور السينما ومعارض الصور والأرباء وقد أخذ أربعون من كبار صانعى الملباس يبيعون ملابهم خمسة عشر ألف فرانك على الأقل ، وتبيع هذه المحلات ذئنها أرباء الفئمة الجديدة بما لا يقل عن ثلاثة آلاف فرنك ، ومع ذلك يحدون بمالائس بالقس وتكلمت كاتبة هذه الرسالة عن الروايات المسرحية الحديثة وعن رحى الأدب المتنمين حول مجلة « لتر فرانسير » وذكرت أن السوق السوداء آخذة في الازمحلال ، وأشارت إلى اكتشاف صورة جديدة لمصور هنرى روسو سمى « الحرب » .

### بعث الروح الفرنسية

على أن المقال الذى كان جديراً بالقل بأ كمله هو مقال تدرية سيجند سكاتب المؤرخ الشهير والأستاذ فى كولييج دى فرانس ونشرته له مجلة « الأور الخارجية الأمريكية » وبحث فيه عن بعث الروح الفرنسية . وهو ، كما ذكرى مستهل مقاله ، لا يرغب فى كتابة تاريخ ، وإنما يحاول تحليل الشعب الفرنسى كما هو بعد خمس سنوات وهى سنوات مثقلة بالحوادث أكثر من قرون ؛ إذ ليس فى تاريخ أئى سنة مثل ما مرت به منشآت هذه السلاء من اجتماعيه وسياسية وأخلاقية فى هذه السنوات القليلة . ولقد كان الدمار والاضطراب

كبراً ، حتى إن فرنسا بعد أن عادت إلى مكائنها واستقلالها وشغلت مركزها بين الأمم لا يمكن اعتبارها وحدة سياسية .  
ولكن نعرف مدى هذه الأزمة يجب أن نعود إلى حالة الفرنسيين عندما عشت الحرب لقد كان اليهود الذي بذله فرنسا في حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ فوق طاقتها وحسرت في سايته مليوناً وخمسمائة ألف من أبنائها الموتي هي في حجة إليهم . ولم تكن تشعر بالرغم من انتصارها بأنها منتصرة ؛ وهي لا تنسى بسهولة أفعالها حدودها التي احتارها العدو أربع مرات في قرن واحد ؛ لذلك كان إلحاحها في احتلال الجانب الأيسر من الراين والتحاؤها إلى الاستناد بالتحالف مع شعوب سلاوية في الشرق وهي شعوب لا تعوضها عن الحلف مع روسيا التي خسرتها عندئذ ؛ وكان البريطانيون والأمريكيون يلومونها على هذه السياسة في حين كانت هي تعتقد في سوء سياستهم ، على أنه ما تجسم الخطر الألماني حتى كان قد وقع المحذور ، فبعدت فرنسا عن صفة الراين ، وصار تدخلها في وسط أوروبا مستحيلاً .

ولقد شعر الفرنسيون بشيء من المرارة حين قذبت الدولتان الانجليو سكوتلاند من سياستهما وتلحقا على فرنسا بأن تتبع سياسة تؤدي إلى الحرب ولقد صار الفرنسيون وحيدين في الميدان ، والانجليز على استعداد لتأييدهم كلمة . ولكنهم من غير حيش ، والولايات المتحدة تأتي أن ترتبط ، ورأت فرنسا بمحق المساواة في « مونيخ » فتراجعت وبعد سنة قدمت ولكن إقدام ينس دالين قاموا في حرب ١٩١٤ ظموا نهاية الحروب ولكن الضرورة بهم للحرب أخرى حاصت فرنسا غمارها في غير حماسة فهي تبدو لها حرماً تخسر فيها كل شيء ولا تكسب شيئاً .

ومما زاد الحالة سوءاً ما كان من اضطراب داخلي في السنوات العشر الأخيرة من طرقات ٦ فبراير سنة ١٩٣٤ وحكومة الجبهة الشعبية سنة ١٩٣٦ بذرت بدور لاحتلافات العميقة . ولقد كانت الجمهورية الثالثة موضع تأييد الغالبية من الفرنسيين ، ولكنها لم تستطع منذ إنشائها في سنة ١٨٧٥ أن تصمم جميع الفرنسيين ولقد أخذت تفقد عطف جزء كبير من الطبقات الوسطى ، ففي اليمين قوم يعترفون بشفاهمم بالولاء للجمهورية ولكنها يحتقرونها ويتمنون سوبها ، وفي اليسار رجال الثورة . وكان من المستطاع السيطرة على هذين

تفرقتين قبل ١٩١٤ والكنهما مما صاروا حذرين جداً لكن فارق  
ثوره أن يحدروا شيوعية مثلاً ، وفريق لرجعيين أن ينفذوا أيضاً  
مباشريه أو المديا سزنة مثلاً . فالحشاشات البرلمانية لا تسير سيرها الطبيعي  
إذا عورها بولاء وصارت الحكومة تنتجى إلى لرجعيين إذا ما رادت حفظ  
المقام وإلى الثوريين إذا ما رادت لدفع عن اجمهورية وصار الاختيار بين  
الثورة ولرجعية حاحة ممتعة ، حتى إن أمن الدولة لم يعد حياً في المكان  
الأول وصار لدى العقول المشوهة أنه من الضرورة الأولى هزيمة الثورة بدلاً  
من هزيمة الأمن . وصارت ألمانيا لدى بعض الناس حاجزاً يجتمعون به من  
القوضى . ونشأ عن هذا الخلاف في العاطفة الوطنية أزمة أثرت في معنى فكرة  
الوطنية نفسها ، وهذه الأمور قديمة جداً حتى لبثت في اعتبارها من الماضي  
هذه الأمور تفسر السبب في قبول الهدنة سنة ١٩٢٠ ، فقد كان الشعب  
افرنسى يتمنى ألا تقوم هذه الحرب ، ودخل في غير عافية ثم قال له الرماح  
الحرثيون إن الاستمرار في اضمال مستحيل . أما الجيرال دبحول ففرق بين موقعة  
فرنسا وهي موقعة حاسمة وبين موقعة اعداء التي يمكن أن تكتسب ، ولكنه في  
ذلك الوقت كان لا يميز إلا عواطف قليلة إذ الظاهر أنه لم يبق ما يعمل به إلا بدير  
موقف كان من مبادئ الأمر سبباً ، ولا تبيث انجلترا أن تدوق مصر فرنسا وهكذا  
ذهبت الزعامة القديمة في هول الكارثة وسدت فوضى لا تظهر أهمها غير ثلاثة  
تجمع واحدة هي المارشال بيتن . ولم يكن اندس يعرفون عنه إلا أسطورة ،  
ولم يكونوا يعرفون أنه بطبيعته من دعاة المرحمة وأنه بمضى الزمن قد تمت فيه  
شهوة السلطة لا ليعخدم الجمهورية بل ليدمرها .

وإذا بعض الناس أن يعتقدوا أن آراء المارشال لا يمكن أن تكون موصفاً  
للزعة ، وكان الآخرون لا يؤمنون من دى حول لا باسمه . والحقيقة أن البلاد  
كانت كرجل تلقى على رأسه ضربة عنيفة .

لقد كانت القوى التي ستمدمهم حكومة فيشى آراءه معقدة ولكن شهر  
فدب بعض الصفات الضرورة ، فهي حكومة منطقية يستعمل فيها المارشال سلطة  
« لرعيم الأساسى » . وهي لا اعترف بالاستفتاء اعلاء وهو إجراء متبع منذ قرن  
في فرنسا واتخذت على لسان اجمهورية بين شعب وممستك بها واتعت عنه  
ديليا في المدارس الابتدائية ثم كسر رغب فيه حتى بعض لأحزاب الكاثوليكية



وحاولت في الميدان الاجتماعي القضاء على نقابات العمال على أن تحل بدلها فكرة الدولة النقابية ، وفي السياسة الخارجية تجنبت عقد محالفة حربية مع ألمانيا ولكنها أصرّت عن كراهية للانجليز في قوة لا يمكن أن تكون غير حقيقية ، ولكن من الجور أن نقول إنها لم تعمل لتخفيف آلام الشعب الفرنسي . ولكن فرنسا الديمقراطية في زمن الثورة وفرنسا القوية الفخور في سنتي ١٧٩٢ و ١٩١٤ لا يمكن أن تعرف نفسها في هذا النظام . ولم تقتصر الحكومة على الصمت أمام المنتصر ، بل أظهرت رضا عن مجرى الأمور . أجل ! إن المارشال كان شخصاً محبوباً ، ولكن الاحتجاج على النظام كان يتجمع حول دي جول ، وإن لم يكن هذا إلا رمزاً إذ لم يؤيده أحد من الشخصيات البارزة . ولذلك كان من الصعب الحكم على الاتجاه السياسي لأنصاره . ولقد قال بعض الناس إن أنصاره من الشيوعيين ، وقال البعض إنهم من رجال « الأكسيون فرانسيز » . وهذا يفيد أنه وجد أنصاراً بين اليسار واليمين ، على أن أكثر صفوفه تتألف من اليسار . وتجمعت تدريجياً الكراهية للأجنبي وصارت لا تحتمل ، ولكن حركة المقاومة لم توجد ولم تنشأ إلا بعد حوادث نوفمبر سنة ١٩٤٢ عندما ألقى الألمان القناع وألغوا نظام المنطقين وامتد نفوذهم على فرنسا .

وعند هذا المكان يجب تحليل النفسية السياسية لرجال المقاومة ، ففيها مفتاح الصعوبات الحالية في فرنسا ، فهم من جميع الأحزاب ولكن أكثرهم من أحزاب اليسار ، والكثيرون بينهم من الشيوعيين ، وهؤلاء الشبان ساروا سيرة المتأمرين ولم يتبعوا النظم البرلمانية ، وهي تجربة جديدة تركت فيهم آثاراً فهم يعتقدون أن حركتهم تمثل رغبة الشعب أكثر من الهيئة المنتخبة ؛ وبذلك تكونت نخبة قد يكون لها تأثير في طام السياسة .

وعند ما دخل دي جول باريس في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ وجد بلاداً غثة بالفرح ولكنها من غير نظام سياسي أو إداري ، لا جيش غير ما يحتاج إليه الميدان ولا قوة بوليس غير التي ظلت فيشى تطهر فيها وتبذل حتى لم يبق لها ما تحسنه إلا دور إيقاظ الاضطراب وهو ما قامت به خير قيام عند التحرير . ولم يبق من الإدارة غير خدام فيشى الذين لا يعتمد عليهم . على أن جيوش المقاومة تولت مقاليد الأمور ولم يكن الناس يعرفونها ولم تكن منتخبة ؛ لذلك أقامت في الواقع دكتاتورية .

وجدت الحكومة الجديدة صعوبات من أنصارها المتحمسين الذين ألفوا قوات داخلية فنجحت في ضمهم إلى الجيش . وما زاد أمامها الصعوبات انقطاع المواصلات انقطاعاً يكاد يكون تاماً . ثم إن أنصار التعاون كانوا لا يزالون يعملون وإن كانوا أقلية ، وسواد الشعب يرغب في الانتقام منهم انتقاماً سريعاً . فانطلاق الناس بعد أربع سنوات كان أشبه بإزالة جسر تتدفق على أثره المياه وتطغى . فكان على الحكومة أن تستعمل منتهى الحكمة لكي تحول دون الحرب الأهلية . ويظهر أنها كانت مزودة بهذه الحكمة ، وتعرف متى تشد ومتى تلين ومتى تتجنب اتخاذ قرار . ولقد نجح دي جول في تفسير الموقف السياسى فأعلن أنه حكومة مؤقتة للجمهورية الفرنسية ، وبذلك اجتذب كثرة الشعب . وقد ظن أكثر الناس أن عمله تم بذلك ، ولكن رجال المقاومة يرون أنه يجب إتمام « الثورة » . على أن لكلمة الثورة معنى خطيراً في بلد مثل فرنسا ؛ فهم لا يتحمسون لإعادة الجمهورية الثالثة ، وهم متأثرون بروح التغيير الثورى الذى يؤدى إلى الاشتراكية الديمقراطية برئاسة الزعيم ، وهذه الفكرة تملحها تقاليد الثورة الفرنسية والشيوعية الروسية . ولا يمكن أن ننكر أن وجود الألمان يترك أثره ، وأن الجو مشبع بالرغبة في الطرق الدكتاتورية والرغبة عن طرق الحرية ، وفرنسا بلد متصل بالقارة ولا بد أن يتأثر بالآراء التى سادت في شرقه .

والآن لا يمكن الحسك على سير الأمور غير أن فرنسا وفقت على أقدامها وقامت بمعجزة من الموت وعادت إليها حريتها وشرفها ، فقاموقعها بأزاء الدول الأخرى ؟ يعتبر الفرنسي أنه استرد مركزه الأدبى فى العالم ، وبجد حاجة إلى تأكيد هذا المركز مرة بعد مرة فى تعجل عصبى ؛ لأن ذكرى السنوات الأربع لا تزال ماثلة لديه . ففرنسا لا تحتفل أن تشعر بأن مركزها السياسى لا يتفق مع مركزها فى الحضارة . وهى بالرغم مما حاق بها من دمار وما خسرت من رجال وما حل بها من ضيق ومتاعب ، تعمل على أن تسترد من قوتها وزعمائها يعملون من أجلها . إن فرنسا لم تقم قط من كبوة بمثل السرعة التى قامت بها هذه المرة . وليس من السهل وصف هذه النهضة العجيبة التى تكاد تكون من المعجزات ؛ فإن الأزمة التى مرت بها فى حرب المائة سنة كانت أقل خطراً لأن حب البلاد عندئذ لم ينفصل عن الولاء للملك . أما فى هذه المرة فقد كانت الحفرة بادية العمق وهول الكارثة جاثماً فلم تك نهضة فرنسا إذن إلا بعثاً .



الى قراء اللغة الفرنسية

إذا أحببتم أن تظلموا على خير ما يكتبه مشاهير الأدباء الفرنسيين فضلاً عن محبة  
من أدباء الشرق فترقبوا مجلة « القيم » VALEURS وفي عددها الرابع الذي يصدر  
في نهاية يناير ١٩٤٦ تجدون أبحاثاً للمرمية وآثاراً لسارتر وميشو وكواريه وموريانا  
الياباني والدكتور حسين فوزي وجويون ويبرلوي وإتيامبل فضلاً عن خلاصة المجالات  
الفرنسية والشرقية والعربية والكتب العربية والفرنسية .

POUR PARAÎTRE FIN JANVIER:

# VALEURS

CAHIERS TRIMESTRIELS DE CRITIQUE ET DE LITTÉRATURE  
PUBLIES AVEC LA COLLABORATION DES ÉCRIVAINS DE FRANCE  
ET DU PROCHE-ORIENT.

Directeur: ETIEMBLE.

## NUMERO QUATRE

### SOMMAIRE

MALLARME

QUATRAIN INÉDIT

J. P. SARTRE

LES VAINQUEURS

H. MICHAUX

AU PAYS DE LA MAGIE

A. KOYRE

LOUIS DE BONALD, PHILOSOPHE DE LA REACTION

K. MARUYANA

LETTRE D'UN JAPONAIS A SES AÎNÉS

HUSSEIN FAOUZI

LE CHAT YOGI

BERNARD GUYON

REFLEXIONS SUR UN FILM ARABE

PIERRE LOUYS

LETTRE INÉDITE

ETIEMBLE

PAUL PELLIOT

*Revue des revues de France et du Proche Orient; revue des  
revues arabes; revue des livres de France; des livres français  
publiés à l'étranger; des livres en arabe. Bulletin critique  
d'informations culturelles.*

# الكاتب المصري

مجلة ادبية شهرية

تصدرها دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

وتطبع بمطبعتها

رئيس التحرير

طه حسين

سكرتير التحرير

حسن محمود

ادارة الناشر المصري

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

الاشتراك

يدفع مقدماً باسم « الكاتب المصري »

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان

١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها

مجلة الكاتب المصري تعني بكل ما يرد إليها من المقالات  
والرسائل ولكنها لا تلتزم بنشرها ولا ردها

التمن بمصر : ١٠ قرش